۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾

فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة من :-

1-(وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ)يشهدون للرسول بالرسالة

2-(وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ)و بعثهم بعد موتهم

3-(وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ)حتى يكلمهم(قُبُلٗا)و مشاهدة و مباشرة بصدق ما جاء به الرسول

*أَفْوَاجًا قُبَيْلًا قُبَيْلًا أَيْ: تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ كُلُّ أُمَّةٍ بَعْدَ أمة فتخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم بِهِ

*كَمَا سَأَلُوا فَقَالُوا:{أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} [الْإِسْرَاءِ: 92]{قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} [الْأَنْعَامِ: 124]

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} [الْفُرْقَانِ: 21]

*فتعليقهم الإيمان بإرادتهم و مشيئتهم وحدهم و عدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط

(مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ)ما حصل منهم الإيمان(إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ)إيمانهم (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ)

*فلذلك رَتَّبُوا إيمانهم على مجرد إتيان الآيات

و إنما العقل و العلم أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق و يطلبه بالطرق التى بينها الله و يعمل بذلك و يستعين ربه فى اتباعه و لا يتكل على نفسه و حوله و قوته و لا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه111

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا)

يقول تعالى-مسليا لرسوله محمد ﷺ-و كما جعلنا لك أعداء:-

1-يردون دعوتك 2-و يحاربونك 3-و يحسدونك

فهذه سنتنا أن:-نجعل لكل نبى نرسله إلى الخلق أعداء من(شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ)يقومون بضد ما جاءت به الرسل

*مسلم (510) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ:-1-الْحِمَارُ 2-وَ الْمَرْأَةُ 3-وَ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ»
قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟
قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ:-«الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ الأنعام: ٣٤

*البخارى قال ورقة بن نوفل لرسول اللهﷺ:-(لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ)

(يُوحِي)يُلقى (بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ)القول الذى زيَّنوه بالباطل

أى: يزين بعضهم لبعض الأمر الذى يدعون إليه من الباطل و يزخرفون له العبارات

حتى يجعلوه فى أحسن صورة لـ:-

1-يغتر به السفهاء 2-و ينقاد له الأغبياء الذين:-1-لا يفهمون الحقائق 2-و لا يفقهون المعانى

بل :-تعجبهم الألفاظ المزخرفة و العبارات المموهة فيعتقدون:-الحق باطلا و الباطل حقا

(وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ)وَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِقَدَرِ اللَّهِ وَ قَضَائِهِ وَ إِرَادَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ

(فَذَرۡهُمۡ)دعهم(وَمَا يَفۡتَرُونَ)يكذبون أَيْ:دَعْ أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِي عَدَاوَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَ نَاصِرُكَ 112

و لهذا قال تعالى:-(وَلِتَصۡغَىٰٓ)لتميل(إِلَيۡهِ)أى:إلى ذلك الكلام المزخرف

(أَفۡـِٔدَةُ)قُلُوبُهُمْ وَ عُقُولُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ(ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ)لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر و عدم عقولهم النافعة يحملهم على ذلك

(وَلِيَرۡضَوۡهُ)بعد أن يصغوا إليه فيصغون إليه أولا فإذا مالوا إليه و رأوا تلك العبارات المستحسنة ⇦

1-رضوه 2-و زين فى قلوبهم 3-و صار عقيدة راسخة و صفة لازمة

كقوله(فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ)الصافات

(وَلِيَقۡتَرِفُواْ)ليكتسبوا من الأعمال السيئة(مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ)مكتسبون

*ثم ينتج من ذلك أن يقترفوا من الأعمال و الأقوال ما هم مقترفون أى:-

يأتون من الكذب بالقول و الفعل ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة فهذه حال المغترين بشياطين الإنس و الجن المستجيبين لدعوتهم

*و أما أهل الإيمان بالآخرة و أولو العقول الوافية و الألباب الرزينة:-

فإنهم لا يغترون بتلك العبارات و لا تخلبهم تلك التمويهات بل:-همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق

فينظرون إلى المعانى التى يدعو إليها الدعاة:-

1-فإن كانت حقا قبلوها و انقادوا لها و لو كسيت عبارات ردية و ألفاظا غير وافية

2-و إن كانت باطلا ردوها على من قالها كائنا من كان و لو أُلْبِسِت من العبارات المستحسنة ما هو أرق من الحرير

*و من حكمة الله تعالى في جعله للأنبياء أعداء و للباطل أنصارا قائمين بالدعوة إليه أن يحصل لعباده الابتلاء و الامتحان ليتميز الصادق من الكاذب و العاقل من الجاهل و البصير من الأعمى.

*و من حكمته أن في ذلك بيانا للحق و توضيحا له فإن الحق يستنير و يتضح إذا قام الباطل يصارعه و يقاومه.

فإنه - حينئذ-:-

1-يتبين من أدلة الحق و شواهده الدالة على صدقه و حقيقته

2-و من فساد الباطل و بطلانه ما هو من أكبر المطالب التى يتنافس فيها المتنافسون113

*قل يا أيها الرسول(أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا)أحاكم إليه و أتقيد بأوامره و نواهيه.

فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم.

*و كل تدبير و حكم للمخلوق فإنه مشتمل على:-

1-النقص 2-و العيب 3-و الجور

*و إنما الذي يجب أن يتخذ حاكما فهو الله وحده لا شريك له الذى له الخلق و الأمر

(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًاۚ)

أى: موضَّحا فيه:-1-الحلال و الحرام 2-و الأحكام الشرعية 3-و أصول الدين و فروعه الذى:-

1-لا بيان فوق بيانه 2-و لا برهان أجلى من برهانه 3-و لا أحسن منه حكما 4-و لا أقوم قيلا

لأن أحكامه:- مشتملة على الحكمة و الرحمة.

(وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ)و أهل الكتب السابقة من اليهود و النصارى(يَعْلَمُونَ)يعترفون

(أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ)و لهذا تواطأت الإخبارات-بما عندهم من البشارات بك من الانبياء المتقدمين

(فَلَا)تشُكَّنَّ فى ذلك(تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)هذا شرط و الشرط لا يقتضى وقوعه﴿١١٤﴾

*ثم وصف تفصيلها فقال:-(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًاۚ)صدقا في الأخبار فيما قال

(وَعَدْلًا)فى الأمر و النهى و فيما حكم (وَعَدْلًا)فِي الطَّلَبِ

*فلا أصدق من أخبار الله التى أودعها هذا الكتاب العزيز و لا أعدل من أوامره و نواهيه

فَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ فَحَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَ لَا شَكَّ وَ كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ فَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِى لَا عَدْلَ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَا نَهَى عَنْهُ فَبَاطِلٌ فَإِنَّهُ لَا يَنْهَى إِلَّا عَنْ مَفْسَدَة

كَمَا قَالَ:{يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الأَعْرَاف: 157]

(لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ)فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة.

حيث حفظها و أحكمها بأعلى أنواع الصدق و بغاية الحق فلا يمكن تغييرها و لا اقتراح أحسن منها .

(وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ)لسائر الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

صفة أكثر الناس و علم الله بما فيهم 116-117

(ٱلْعَلِيمُ)الذى أحاط علمه بالظواهر و البواطن و الماضى و المستقبل115

*يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ محذرا عن طاعة أكثر الناس:–

(وَإِن تُطِعْ)و لو فُرض-أيها الرسول-أنك أطعت(أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

لأضلُّوك عن دين الله

*فإن أكثرهم قد انحرفوا فى أديانهم و أعمالهم و علومهم.

*فأديانهم فاسدة و أعمالهم تبع لأهوائهم و علومهم ليس فيها تحقيق و لا إيصال لسواء الطريق.

* كَمَا قَالَ{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ}[الصَّافَّاتِ: 71] وَ قَالَ{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يُوسُفَ: 103]

(إِن يَتَّبِعُونَ)يسيرون(إِلَّا ٱلظَّنَّ)ما ظنوه حقًّا بتقليدهم أسلافهم

وَ هُمْ فِي ضَلَالِهِمْ لَيْسُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ إِنَّمَا هُمْ فِي ظُنُونٍ كَاذِبَةٍ وَ حُسْبَانٍ بَاطِلٍ

*بل غايتهم أنهم يتبعون الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا

(وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)يظنون و يكذبون. و يتخرصون فى القول على الله ما لا يعلمون

و من كان بهذه المثابة فُحَرِىٌ أن:–

1–يُحَذِّر الله منه عبادَه 2–و يصف لهم أحوالهم

لأن هذا–و إن كان خطابا للنبى ﷺ– فإن أمته أسوة له فى سائر الأحكام التى ليست من خصائصه116

(إِنَّ رَبَّكَ)و الله تعالى أصدق قيلا و أصدق حديثا و (هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ)

و أعلم بمن يهتدى. و يهدى.فيجب عليكم–أيها المؤمنون–أن تتبعوا نصائحه و أوامره و نواهيه لأنه أعلم بمصالحكم و أرحم بكم من أنفسكم.

*و دلت هذه الآية على أنه:–

1–لا يستدل على الحق بكثرة أهله

2–و لا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق بل الواقع بخلاف ذلك فإن أهل الحق هم الأقلون عددا الأعظمون–عند الله–قدرا و أجرا

ما يحل و ما يحرم من الذبيحة 118-121

بل:-الواجب أن يستدل على الحق و الباطل بالطرق الموصلة إلية117

(فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ)يأمر تعالى عباده المؤمنين

(إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ)فبمقتضى إيمانهم يمتثلوا فليأكلوا مما:-

ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام و غيرها من الحيوانات المحللة و يعتقدوا حلها

و لا يفعلوا كما يفعل أهل الجاهلية من تحريم كثير من الحلال:-

1-ابتداعا من عند أنفسهم 2-و إضلالا من شياطينهم

فذكر الله أن علامة المؤمن:-مخالفة أهل الجاهلية فى هذه العادة الذميمة المتضمنة لتغيير شرع الله﴿١١٨﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟)و أنه أى شيء يمنعهم من أكل(مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ)

(وَقَدْ فَصَّلَ)الله(لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)و بينه و وضحه؟

فلم يبق فيه إشكال و لا شبهة توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام

و دلت الآية الكريمة على أن:-الأصل فى الأشياء و الأطعمة :الإباحة

و أنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة فما سكت الله عنه فهو حلال لأن الحرام قد فصله الله فما لم يفصله الله فليس بحرام.

(إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ)و مع ذلك فالحرام الذى قد فصله الله و أوضحه قد أباحه عند الضرورة و المخمصة

كما قال(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ........ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

*ثم حذر عن كثير من الناس فقال:-(وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم)بمجرد ما تهوى أنفسهم

(بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ)و لا حجة

فليحذر العبد من أمثال هؤلاء و علامتهم - كما وصفهم الله لعباده- أن دعوتهم-

1-غير مبنية على برهان

2-و لا لهم حجة شرعية و إنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة و آرائهم القاصرة

(إِنَّ رَبَّكَ)-أيها الرسول-(هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ)بمن تجاوز حده فى ذلك و هو الذى يتولى حسابه و جزاءه.

فهؤلاء معتدون على شرع الله و على عباد الله و الله لا يحب المعتدين بخلاف الهادين المهتدين

فإنهم يدعون إلى الحق و الهدى و يؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية و النقلية و لا يتبعون فى دعوتهم إلا رضا

ربهم و القرب منه119

(وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ)هو:-جميع المعاصى التى تؤثم العبد أى:-توقعه فى الإثم و الحرج

من الأشياء المتعلقة بـ:-1-حقوق الله 2-و حقوق عباده.

فنهى الله عباده عن اقتراف الإثم الظاهر و الباطن أى:- السر و العلانية المتعلقة بـ:-

1-البدن 2-و الجوارح

(وَبَاطِنَهُۥٓ)أى:-و المتعلقة بـ:-القلب و لا يتم للعبد ترك المعاصى الظاهرة و الباطنة إلا بعد:-

1-معرفتها 2-و البحث عنها فيكون البحث عنها و معرفة معاصى القلب و البدن

و العلمُ بذلك واجبا متعينا على المكلف.

و كثير من الناس تخفى عليه كثير من المعاصى خصوصا معاصى القلب كـ:-

1-الكبر 2-و العجب 3-و الرياء و نحو ذلك

حتى إنه يكون به كثير منها و هو لا يحس به و لا يشعر و هذا من الإعراض عن العلم و عدم البصيرة.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ)الظاهر و الباطن(سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ)على حسب كسبهم و على قدر ذنوبهم

قلَّت أو كثرت و هذا الجزاء يكون فى الآخرة و قد يكون فى الدنيا يعاقب العبد فيخفف عنه بذلك من سيئاته.

كقوله(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) الأعراف: ٣٣

*مسلم (2553)عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ﵁قَالَ:-سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَنِ الْبِرِّ وَ الْإِثْمِ فَقَالَ:-

«الْبِرُّ(يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هى مجامع حسن الخلق)حُسْنُ الْخُلُقِ

وَ الْإِثْمُ مَا حَاكَ(تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل فى القلب منه الشك وخوف كونه ذنبا)فِي صَدْرِكَ وَ كَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ

النَّاسُ120

(وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ)

*و يدخل تحت هذا المنهى عنه ما ذكر عليه اسم غير الله كالذى يذبح للأصنام و آلهتهم

فإن هذا مما أهل لغير الله به المحرم بالنص عليه خصوصا.

و يدخل فى ذلك متروك التسمية مما ذبح لله كـ:-الضحايا و الهدايا أو للحم و الأكـل

إذا كان الذابح متعمدا ترك التسمية عند كثير من العلماء.

و يخرج من هذا العموم:-الناسى بالنصوص الأخر الدالة على رفع الحرج عنه

و يدخل في هذه الآية:–ما مات بغير ذكاة من الميتات فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه.

و نص الله عليها بخصوصها في قوله:(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)و لعلها سبب نزول الآية لقوله

(وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ)مردة الجن(لَيُوحُونَ)لَيُلْقون

(إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ)من شياطين الإنس بالشبهات حول تحريم أكل الميتة

(لِيُجَٰدِلُوكُمۡ)بغير علم

فإن المشركين–حين سمعوا تحريم الله و رسوله الميتةَ و تحليله للمذكاة و كانوا يستحلون أكل الميتة–

قالوا–معاندة لله و رسوله و مجادلة بغير حجة و لا برهان–أتأكلون ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل الله؟

يعنون بذلك:–الميتة.

و هذا رأى فاسد لا يستند على حجة و لا دليل بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التى لو كان الحق تبعا لها

لفسدت السماوات والأرض و من فيهن.

*فتبا لمن قدم هذه العقول على شرع الله و أحكامه الموافقة للمصالح العامة و المنافع الخاصة.

*و لا يستغرب هذا منهم فإن هذه الآراء و أشباهها صادرة عن وحى أوليائهم من الشياطين الذين يريدون أن

يضلوا الخلق عن دينهم و يدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير.

*قال بن كثير:عَنْ أَبِي زُمَيْل قَالَ:-كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ حَجَّ المختار ابن أَبِي عُبَيْدٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:-
يَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَ زَعَمَ أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَدَقَ فَنَفَرْتُ
وَ قُلْتُ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ صَدَقَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:- هُمَا وَحْيَانِ:-1-وَحْيُ اللَّهِ 2-وَ وَحْيُ الشَّيْطَانِ

فَوَحْيُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺوَ وَحْيُ الشَّيْطَانِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ ثُمَّ قَرَأَ:-{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ}

(وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ)في شركهم و تحليلهم الحرام و تحريمهم الحلال

(إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ)فأنتم و هم في الشرك سواء.

*لأنكم اتخذتموهم أولياء من دون الله و وافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين فلذلك كان طريقكم طريقهم.

*كقوله(ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ)التوبة: ٣١

و دلت هذه الآية الكريمة على أن:–

ما يقع في القلوب من الإلهامات و الكشوف التى يكثر وقوعها عند الصوفية و نحوهم لا تدل–بمجردها على

أنها حق و لا تصدق حتى تعرض على كتاب الله و سنة رسوله.

فإن شهدا لها بالقبول قبلت و إن ناقضتهما ردت و إن لم يعلم شيء من ذلك توقف فيها و لم تصدق و لم

تكذب لأن الوحى و الإلهام يكون من الرحمن و يكون من الشيطان فلا بد من التمييز بينهما و الفرقان

و بعدم التفريق بين الأمرين حصل من الغلط و الضلال ما لا يحصيه إلا الله

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-أبي داود2818 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ:-

{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ}[الأنعام: 121] يَقُولُونَ:-

«مَا ذَبَحَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُوا وَ مَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ فَكُلُوا»فَأَنْزَلَ اللَّهُ{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}[الأنعام: 121]

*البخارى 2057-عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:-أَنَّ قَوْمًا قَالُوا:-يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لاَ نَدْرِى أَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لاَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-«سَمُّوا اللَّهَ عَلَيْهِ وَ كُلُوهُ»﴿١٢١﴾

مثل المؤمن و الكافر و مكر المجرمين و عاقبتهم 122-127

يقول تعالى:-(أَوَمَن كَانَ)من قبل هداية الله له

(مَيْتًا)في ظلمات الكفر و الجهل و المعاصى

(فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا)نـور العلم و الإيمان و الطاعة أو القرآن أو الاسلام(يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ)

*أحمد عن عبد الله بن العاص عن النبي ﷺ يَقُولُ:-

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى وَ مَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ» فَلِذَلِكَ أَقُولُ:-جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

فصار يمشى بين الناس في النور متبصرا في أموره مهتديا لسبيله عارفا للخير مؤثرا له مجتهدا فى تنفيذه فى نفسه و غيره عارفا بالشر مبغضا له مجتهدا فيتركه و إزالته عن نفسه و عن غيره.

(كَمَن مَّثَلُهُۥ)أفيستوى هذا بمن هو(فِى ٱلظُّلُمَٰتِ)ظلمات الجهل و الغى و الكفر و المعاصى

(لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)قد التبست عليه الطرق و أظلمت عليه المسالك فحضره الهم و الغم و الحزن و الشقاء

*فنبه تعالى العقول بما تدركه و تعرفه أنه لا يستوى هذا و لا هذا كما لا يستوي الليل و النهار و الضياء و الظلمة و الأحياء و الأموات.

*فكأنه قيل: فكيف يؤثر من له أدنى مسكة من عقل أن يكون بهذه الحالة و أن يبقى فى الظلمات متحيرا:—

فأجاب بأنه (كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)

فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم و يزينها فى قلوبهم حتى استحسنوها و رأوها حقا.

و صار ذلك عقيدة فى قلوبهم و صفة راسخة ملازمة لهم فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر و القبائح.

و هؤلاء الذين في الظلمات يعمهون و فى باطلهم يترددون غير متساوين.

فمنهم: القادة و الرؤساء و المتبوعون

و منهم: التابعون المرءوسون و الأولون منهم الذين فازوا بأشقى الأحوال122

ميلاد جديد

كان ميلادي في السادسة عشرة من عمري!!

كان ذلك في ليلة من ليالي الصيف وبعد العشاء في بيت أخي الأكبر، إذ جلسنا في فناء داره وعلى ضوء أنوار أعمدة الشارع في ليلة لا أنساها أبدًا، وكان أخي يحدثنا عن الجنة ونعيمها، وأخذ الحديث بمجامع قلبي وكأني أسمعه لأول مرة، بل ربما فعلا أسمعه لأول مرة، فقد كنت في غفلة مُطْبِقَةٍ، وسألت أخي: أين أجد مثل هذا الكلام الجميل؟ فأشار إلى مكتبته الخاصة، ونظرت إلى الكتب في حيرة: أيَّها أختارُ؟

ولا زِلْتُ أتعجبُ إلى اليوم كيف وقع اختياري على كتاب (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) لابن القيم، مع كتابه الآخر (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، وكتاب ثالث هو أحد أجزاء (الترغيب والترهيب) للمنذري.

أخذتها وذهبت إلى المنزل، وظَلَلْتُ أقرأ وأقرأ وتأثرت كثيرًا، وتولدت لدي الرغبة الشديدة في حفظ القرآن الكريم، حيث لم يكن معي منه وأنا في السادسة عشرة إلا بعضٌ من قصار السور مع ضعف في حفظها!! وبدأت الحفظ فعلا، إلا أنني شعرت بالحاجة المُلِحَّةِ إلى فهم آياتٍ كنت أقف عندها متسائلة عن معناها ودلالتها، وهنا بدأت مسيرة حياتي الجديدة حينما أمسكت كتب التفسير وبدأت أقرأ بفهم وتأثر، كنت أقرأ كثيرًا في تفسير (جزء عمَّ) وأنا خالية وأبكي، كنت أعيش الآيات بتفاعل وأشعر أن الروح تسري في قلبي، وقبسَ النورِ يُشِعُّ في نفسي، ويزداد يومًا بعد يوم، إنه الحقُّ في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

وعرفت طعم الحياة الحقيقية يوم عرفت ربي من خلال تدبر كلامه، فأحببته وآثرت محابَّه على كل شهواتي، فأقبلت على الصلاة والصيام والقرآن والقيام به والقراءة في الكتب النافعة، وتركت سماع اللهو ومتابعة الأفلام، وكل ما يمكن أن يمارسه من نشأ في أجواء الغفلة والبعد عن القرآن والعلم الشرعي، وكنتُ كلما مررت بآية تؤثر في قلبي فتحت كتب التفسير لأفهمها، ثم أكتبها في دفتر أو في ورقة أعلقها أمامي في مكان بارز.

لهذا قال:(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا)أى:الرؤساء الذين قد كَبُرَ جُرْمُهم و اشتد طغيانهم كقوله(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ)الفرقان: ٣١(وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا)الإسراء: ١٦

(لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا)بــــ:-

1-الخديعة 2-و الدعوة إلى سبيل الشيطان 3-و محاربة الرسل و أتباعهم بــــ:-القول و الفعل

*سَلَّطنا شِرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ.

*الْمُرَادُ بِالْمَكْرِ هَاهُنَا دُعَاؤُهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ بِزُخْرُفٍ مِنَ الْمَقَالِ وَ الْفِعَالِ كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ قَوْمِ نُوحٍ:-

{وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا}[نوح: 22]وَ قَالَ{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ31 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ32 وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[سبأ]

(وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)

و إنما مكرهم و كيدهم يعود على أنفسهم لأنهم يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين.

و كذلك:-

1-يجعل الله كبار أئمة الهدى و أفاضلهم يناضلون هؤلاء المجرمين و يردون عليهم أقوالهم و يجاهدونهم فى سبيل الله و يسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك

2-و يعينهم الله و يسدد رأيهم و يثبت أقدامهم

3-و يداول الأيام بينهم و بين أعدائهم حتى يدول الأمر فى عاقبته بنصرهم و ظهورهم و العاقبة للمتقين

كَمَا قَالَ{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}[العَنكبوت13]{وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}[النَّحل25] 123

(وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ)إنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم و قاموا برد الحق الذى جاءت به الرسل حسدا منهم و بغيا فـ(قَالُواْ):-(لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ)من النبوة و الرسالة

كَقَوْلِهِ{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا}[الفُرقَان21]

و فى هذا:-

1-اعتراض منهم على الله 2-و عجب بأنفسهم 3-و تكبر على الحق الذي أنزله على أيدى رسله

4-و تحجر على فضل الله و إحسانه.

*فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد و أخبر أنهم لا يصلحون للخير و لا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين فضلا أن يكونوا من النبيين و المرسلين فقال:-

(ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ)

فيمن علمه يصلح لها و يقوم بأعبائها و هو متصف بكل خلق جميل و متبرئ من كل خلق دنيء أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا و تبعا و من لم يكن كذلك لم يضع أفضل مواهبه عند من لا يستأهله و لا يزكو عنده.

*أحمد 3600 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:-

«إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَ مَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»

و في هذه الآية دليل على:-

كمال حكمة الله تعالى لأنه و إن كان تعالى رحيما واسع الجود كثير الإحسان فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله

ثم توعد المجرمين فقال:-

(سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ)إهانة و ذل كما تكبروا على الحق أذلهم الله.

(وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ)بسبب مكرهم لا ظلما منه تعالى.

*البخارى 6177 عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِى ﷺ
قَالَ:إِنَّ الغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ:هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ
*قال بن كثير:
وَ الْحِكْمَةُ فِي هَذَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْغَدْرُ خَفِيًّا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَصِيرُ عَلَمًا مَنْشُورًا عَلَى صَاحِبِهِ بِمَا فعل

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

(فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ)

يقول تعالى-مبينا لعباده:-1-علامة سعادة العبد و هدايته 2-و علامة شقاوته و ضلاله-

إن من انشرح صدره للإسلام أي-

1-اتسع و انفسح فاستنار بنور الإيمان 2-و حيي بضوء اليقين 3-فاطمأنت بذلك نفسه

4-و أحب الخير و طوعت له نفسه فعله متلذذا به غير مستثقل فإن هذا علامة على أن الله قد هداه

5-و مَنَّ عليه بالتوفيق و سلوك أقوم الطريق.

*و أن علامة(وَمَن يُرِدۡ)الله(أَن يُضِلَّهُۥ)أن(يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا)

أى:فى غاية الضيق عن الإيمان و العلم و اليقين قد انغمس قلبه في الشبهات و الشهوات فلا يصل إليه خير لا ينشرح قلبه لفعل الخير

(كَأَنَّمَا)كأنه من ضيقه و شدته يكاد(يَصَّعَّدُ)كأنه يكلف الصعود(فِي)إلى(ٱلسَّمَآءِۚ)الذى لا حيلة له فيه

(كَذَٰلِكَ)و هذا سببه عدم إيمانهم هو الذى أوجب أن(يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ)العذاب

(عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ)لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة و الإحسان

و هذا ميزان لا يعول و طريق لا يتغير فإن من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى يسره الله لليسرى

و من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسييسره للعسرى﴿١٢٥﴾

(وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ)معتدلا موصلا إلى الله و إلى دار كرامته

(قَدۡ فَصَّلۡنَا)بيَّنَّا(ٱلۡأٓيَٰتِ)أحكامه و فصلت شرائعه و ميز الخير من الشر

و لكن هذا التفصيل و البيان ليس لكل أحد إنما هو(لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ)

فإنهم الذين علموا فانتفعوا بعلمهم و أعد الله لهم الجزاء الجزيل و الأجر الجميل ﴿١٢٦﴾

فلهذا قال:-(لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ)أي:-الجنة سميت بذلك لسلامتها من كل:-

عيب و آفة و كدر و هم و غم و غير ذلك من المنغصات

و يلزم من ذلك أن يكون نعيمها فى غاية الكمال و نهاية التمام بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون

و لا يتمنى فوقه المتمنون من:-نعيم الروح و القلب و البدن

و لهم فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين و هم فيها خالدون(عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

الذى:-1-يتولى تدبيرهم و تربيتهم 2-و لطف بهم في جميع أمورهم 3-و أعانهم على طاعته

4-و يسر لهم كل سبب موصل إلى محبته

و إنما تولاهم بسبب:-

1-أعمالهم الصالحة 2-و مقدماتهم التى قصدوا بها رضا مولاهم *بخلاف من :-

1-أعرض عن مولاه 2-و اتبع هواه فإنه سلط عليه الشيطان فتولاه⇦ فأفسد عليه دينه و دنياه﴿١٢٧﴾

(وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا)

من مشاهد يوم القيامة و تهديد العصاة و افترائهم و الرد عليهم و قدرة و نعم الله 128-144

أى:جميع الثقلين من الإنس و الجن من ضل منهم و من أضل غيره فيقول موبخا للجن الذين أضلوا الإنس و

زينوا لهم الشر و أزُّوهم إلى المعاصى:-(يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم)أضللتم كثيراً

(مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ)أى: من إضلالهم و صدهم عن سبيل الله فكيف:-

1-أقدمتم على محارمى 2-و تجرأتم على معاندة رسلى؟ 3-و قمتم محاربين لله

4-ساعين فى صد عباد الله عن سبيله إلى سبيل الجحيم؟

فاليوم:-1-حقت عليكم لعنتى 2-و وجبت لكم نقمتى 3-و سنزيدكم من العذاب

بحسب:-كفركم و إضلالكم لغيركم

و ليس لكم عذر به تعتذرون و لا ملجأ إليه تلجأون و لا شافع يشفع و لا دعاء يسمع فلا تسأل حينئذ عما

يحل بهم من النكال و الخزى و الوبال و لهذا لم يذكر الله لهم اعتذارا

*كقوله (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ) يس: ٦٢

*و أما أولياؤهم من الإنس فأبدوا عذرا غير مقبول فقالوا:-

(وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ)أى:تمتع كل من الجِنّى و الإنسى بصاحبه و انتفع به.

فالجنّى:-يستمتع بطاعة الإنسى له و عبادته و تعظيمه و استعاذته به.

*وَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْزِلُ الْأَرْضَ فَيَقُولُ:-"أَعُوذُ بِكَبِيرِ هَذَا الْوَادِي":-
فَذَلِكَ اسْتِمْتَاعُهُمْ فَاعْتَذَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
*وَ أَمَّا اسْتِمْتَاعُ الْجِنِّ بِالْإِنْسِ فَإِنَّهُ كَانَ -فِيمَا ذُكِرَ -مَا يَنَالُ الْجِنُّ مِنَ الْإِنْسِ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي اسْتِعَانَتِهِمْ بهم فيقولون: قد سدنا الإنس و الجن.

و الإنسى:-يستمتع بنيل أغراضه و بلوغه بسبب خدمة الجِنّى له بعض شهواته

*فإن الإنسى يعبد الجِنّى فيخدمه الجِنّى و يحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية أى:-

حصل منا من الذنوب ما حصل و لا يمكن رد ذلك

(وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ)الموت

أى:و قد وصلنا المحل الذى نجازى فيه بالأعمال فافعل بنا الآن ما تشاء و احكم فينا بما تريد فقد انقطعت حجتنا و لم يبق لنا عذر و الأمر أمرك و الحكم حكمك.

*و كأن فى هذا الكلام منهم نوع تضرع و ترقق و لكن فى غير أوانه.

*و لهذا حكم فيهم بحكمه العادل الذى لا جور فيه فقال:-

(قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ)مأواكم(خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ)عدم خلوده فيها من عصاة الموحدين.

*و لما كان هذا الحكم من مقتضى حكمته و علمه ختم الآية بقوله:-(إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ)

فكما أن علمه وسع الأشياء كلها و عمّها فحكمته الغائية شملت الأشياء و عمتها و وسعتها128

(وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا)و كما ولَّينَا الجن المردة و سلطناهم على إضلال أوليائهم من الإنس

و عقدنا بينهم عقد الموالاة و الموافقة(بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)بسبب كسبهم و سعيهم بذلك.

*كذلك من سنتنا:-

أن نولى كل ظالم ظالما مثله يؤزه إلى الشر و يحثه عليه و يزهده فى الخير و ينفره عنه

و ذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها البليغ خطرها.

و الذنب ذنب الظالم فهو الذي أدخل الضرر على نفسه و على نفسه جنى(وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ)

و من ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم و فسادهم و منْعهم الحقوق الواجبة:-

1-ولَّى عليهم ظلمة يسومونهم سوء العذاب

2-و يأخذون منهم بالظلم و الجور أضعاف ما منعوا من:-حقوق الله و حقوق عباده

(((على وجه غير مأجورين فيه و لا محتسبين)))

*كما أن العباد إذا صلحوا و استقاموا:-

أصلح الله رعاتهم و جعلهم أئمة عدل و إنصاف لا ولاة ظلم و اعتساف129

*ثم وبخ الله جميع من أعرض عن الحق و رده من الجن و الإنس و بين خطأهم فاعترفوا بذلك فقال:

(يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ)مِنْ جُمْلَتِكُمْ.وَ الرُّسُلُ مِنَ الْإِنْسِ فَقَطْ وَ لَيْسَ مِنَ الْجِنِّ رُسُلٌ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} إِلَى أَنْ قَالَ:-{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}[الرَّحْمَنِ: 19 -22]

وَ مَعْلُومٌ أَنَّ اللُّؤْلُؤَ وَ الْمَرْجَانَ إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْمِلْحِ لَا مِنَ الْحُلْوِ. وَ هَذَا وَاضِحٌ و لله الحمد.

وَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا هُمْ مِنَ الْإِنْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا}إِلَى أَنْ قَالَ:

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[النِّسَاءِ: 163 -165]

وَ قَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}[الْعَنْكَبُوتِ: 27]

فَحَصَرَ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ وَ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ:-

إِنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ فِي الْجِنِّ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ بِبَعْثَتِهِ.

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ}[الْفُرْقَانِ: 20]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يُوسُفَ: 109]

وَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْجِنَّ تَبَعٌ لِلْإِنْسِ فِي هَذَا الْبَابِ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ:-{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ29 قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ30 يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ31 وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}
[الأحقاف]

(يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي)الواضحات التي فيها تفاصيل:-الأمر و النهى و الخير و الشر و الوعد و الوعيد

(وَيُنذِرُونَكُمۡ)يخوفونكم بما في(لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ)و هو يوم القيامة من العذاب و الشقاء.

و يعلمونكم أن النجاة فيه و الفوز إنما هو بامتثال أوامر الله و اجتناب نواهيه

و أن الشقاء و الخسران فى تضييع ذلك فأقروا بذلك و اعترفوا فـ(قَالُواْ)بلى

(شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ)أَقْرَرْنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُونَا رِسَالَاتِكَ وَ أَنْذَرُونَا لِقَاءَكَ وَ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

(وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا)بزينتها و زخرفها و نعيمها فاطمأنوا بها و رضوا و ألهتهم عن الآخرة

(وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)يوم القيامة

(أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ)فِي الدُّنْيَا بِمَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

*فقامت عليهم حجة الله و علم حينئذ كل أحد حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم فقال لهم:-

حاكما عليهم بالعذاب الأليم:-(قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ) الأعراف: ٣٨

صنعوا كصنيعكم وا ستمتعوا بخلاقهم كما استمعتم و خاضوا بالباطل كما خضتم إنهم كانوا خاسرين أى:-

الأولون من هؤلاء و الآخرون

*و أى خسران أعظم من خسران جنات النعيم و حرمان جوار أكرم الأكرمين؟!

و لكنهم و إن اشتركوا في الخسران فإنهم يتفاوتون فى مقداره تفاوتا عظيما130

(ذَٰلِكَ)ذلك الإرسال كان لأجل(أَن لَّمۡ يَكُن)من شأن(رَّبُّكَ)و لا مقتضى حكمته أنه(مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ)منه

و ما ربك بظلام للعبيد و لا بظلم منهم و هو الشرك و المعاصى

(وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ)لم يؤمروا و لم ينهوا و لم يعلموا بعاقبة الظلم و ما يحل بأهله من عذاب

*و ما عذَّبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم لقوله(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا) الإسراء: ١٥

*إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل و إنزال الكتب لئلا يؤاخَذَ أحد بظلمه و هو لم تبلغه دعوة

و لكن أعذرنا إلى الأمم131

الرابطالاعجاز فى (كأنما يصعد فى السماء)

طالما حلم الإنسان بالصعود إلى السماء و الارتفاع فيها و منذ آلاف السنين بذل البشر المحاولات العديدة لذلك و لكن كلها باءت بالفشل حتى جاء القرن العشرين حيث أمكن دراسة طبقات الجوّ و تركيبها و استغلال هذه المعرفة في الطيران و الصعود إلى الفضاء.

فمنذ مطلع القرن العشرين قام العلماء بدراسة بنية الغلاف الجوى بشكل علمى و أثبتوا أنه يتركب من الأكسجين و النتروجين بشكل أساسى.

فغاز الأكسجين هو الغاز الضروري للحياة ولا يستطيع الإنسان العيش من دونه أبداً

و نسبته في الهواء(21) % تقريباً و نسبة النتروجين(78)%و نسبة من غازات أخرى كالكربون وبخار الماء بحدود(1)%


صورة بالأقمار الاصطناعية لسلسلة جبال الهملايا وه ى أعلى قمم فى العالم وقد وجد العلماء أننا كلما صعدنا عالياً فإن نسبة الأكسجين تنخفض حتى نصل إلى منطقة ينعدم فيها الأكسجين!

هذه النسب لو اختلت قليلاً لانعدمت الحياة على سطح هذا الكوكب.

و لكن الله برحمته وفضله ولطفه بعباده حدَّد هذه النسب بدقة

و حفظها من التغيير إلا بحدود ضيقة جداً.

لقد حفظ الله تعالى السماء(أى الغلاف الجوى)و جعلها سقفاً نتقى به شرَّ الأشعة الخطيرة القادمة من الشمس فيبددها و يبطل مفعولها

لذلك فهذه السماء تحافظ على حياتنا على الأرض.

و لكن قانونى الجاذبية والكثافة اللذين سخرهما الله لخدمتنا

يجعلان من الغلاف الجوى طبقات متعددة لكل طبقة خصائصها وميزاتها وفائدتها.

فقانون الجاذبية الأرضية يؤدي إلى إمساك الأرض بغلافها الجوي أثناء دورانها فى الفضاء.

و يبقى هذا الغلاف الجوى ملتصقاً بالكرة الأرضية رغم مرور ملايين السنين على وجوده.
هذا بالنسبة لقانون الجاذبية فماذا بالنسبة لقانون الكثافة؟
لقد اكتشف العلماء أن السوائل الأثقل تهبط للأسفل والأخف تطفو للأعلى.
لذلك عندما نضع الماء مع الزيت فى كأس نرى أن الزيت قد ارتفع للأعلى وشكل طبقة فوق الماء
و ذلك لأن الزيت أخف من الماء.
هذا ينطبق على الغازات فالغاز الأخف وزناً أى الأقل كثافة يرتفع للأعلى وهذا ما يحصل تماماً فى الغلاف الجوي فالهواء القريب من سطح الأرض أثقل من الهواء الذي فوقه و هكذا.
إذن هنالك تدرج في كثافة و وزن و ضغط الهواء كلما ارتفعنا للأعلى حتى نصل إلى حدود الغلاف الجوى حيث تنعدم تقريباً كثافة الهواء و ينعدم ضغطه.
إن هذه الحقيقة العلمية و ه ى نقصان نسبة الأكسجين كلما ارتفعنا فى الجوّ قادت العلماء لأخذ الاحتياطات أثناء سفرهم عبر السماء.
حتى إن متسلقى الجبال نراهم يضعون على أكتافهم أوعية مليئة بغاز الأكسجين ليتنفسوا منه فى الارتفاعات العالية حيث تنخفض نسبة الأكسجين فى أعالى الجبال مما يؤدى إلى ضيق التنفس.
إن أول شيء يحسُّ به الإنسان أثناء صعوده لأعلى ضيق فى صدره وانقباض في رئتيه حتى يصل لحدود حرجة حيث يختنق و يموت. هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة أبداً زمن نزول القرآن العظيم.
لم يكن أحد يعلم بوجود غاز اسمه الأكسجين ولم يكن أحد يعلم أن نسبة الأكسجين تتناقص كلما ارتفعنا فى طبقات الجوّ لم يكن أحد يعلم التأثيرات الفيزيائية على صدر الإنسان و رئتيه نتيجة نقصان الأكسجين.
إلا أن القرآن الكريم كتاب الله عز وجل وصف لنا هذه الحقيقة العلمية بدقة فائقة من خلال تشبيه ذلك الإنسان الذي أضلَّه الله بإنسان يعيش فى طبقات الجوّ العليا كيف يكون حاله؟
إنه لا يستطيع التنفس أو الحركة أو الاستقرار
فحالته مضطربة وحالة صدره فى ضيق دائم حتى يصل للحدود الحرجة فهو أشبه بالميت.يقول عز وجل:-
﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقا حرجاً كأنما يصّـعّد فى السما﴾ [الأنعام: 125].
لقد زود الله الإنسان بالرئتين و سخر له الهواء فى الغلاف الجوى للأرض كذلك أنزل له القرآن و فيه تعاليم السعادة فى الدنيا و الآخرة.
فعندما يبتعد الإنسان عن تعاليم هذا الدين فكأنما ترك هذه الأرض وصعد إلى طبقات الجو العليا حيث لا هواء و بالتالى سيضيق صدره و لن يهنأ له عيش و ربما يختنق و يموت.
إذن قررت هذه الآية قانون كثافة الهواء الذى يقضى بنقصان نسبة الهواء كلما ارتفعنا فى الجوّ.
إنه الله تعالى الذى وصف لنا حقيقة علمية استغرق اكتشافها مئات السنوات بكلمات قليلة و بليغة:
﴿يجعل صدره ضيّقا حرجاً كأنما يصّـعّد فى السما﴾
ثم انظر إلى كلمة (يصّعّد) المستخدمة في الآية والتي تناسب تغير السرعة أثناء الصعود إلى الأعلى.
فنحن نعلم أن الجسم الذى يسقط من أعلى لأسفل لا يسقط بسرعة منتظمة بل بسرعة متغيرة بسبب التسارع الذى تمارسه الجاذبية الأرضية على هذا الجسم.
كذلك عملية الصعود من أسفل لأعلى بعكس جاذبية الأرض تتم بسرعة متغيرة و هذا يناسب كلمة(يصّعّد) بالتشديد للدلالة على صعوبة الصعود و قوة الجاذبية الأرضية و تغير سرعة الصعود باستمرار.
و هذا يعنى أن الآية قد تحدثت عن تسارع الجاذبية الأرضية أيضاً من خلال كلمة

فهل جاءت كل هذه الحقائق العلمية فى آية واحدة عن طريق المصادفة؟

فمن الذى أنبأ محمداً ﷺبهذا القانون الفيزيائى؟

و من الذى أخبره بأن الذى يصعد فى السماء يضيق صدره و يعانى من حرج شديد و صعوبة فى التنفس؟

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

(وَلِكُلٍّ)منهم(دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟)بحسب أعمالهم لا يجعل قليل الشر منهم ككثيره و لا التابع كالمتبوع و لا المرءوس كالرئيس كما أن أهل الثواب و الجنة و إن اشتركوا في الربح و الفلاح و دخول الجنة فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله مع أنهم كلهم قد رضوا بما آتاهم مولاهم و قنعوا بما حباهم. فنسأله تعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى التى أعدها الله للمقربين من عباده و المصطفين من خلقه و أهل الصفوة من أهل وداده.

(وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)فيجازى كلا بحسب علمه و بما يعلمه من مقصده132

(وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ)و إنما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة و نهاهم عن الأعمال السيئة رحمة بهم و قصدا لمصالحهم. و إلا فهو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته فلا تنفعه طاعة الطائعين كما لا تضره معصية العاصين.

(إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ)بالإهلاك إن خالفتم أمره

(وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ)و أوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم و يعملون بطاعته تعالى

(كَمَآ أَنشَأَكُم)أوجدكم(مِّن ذُرِّيَّةِ)نسل(قَوْمٍ ءَاخَرِينَ)كانوا قبلكم.

*هُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَدَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} [النِّسَاءِ: 133]

وَ قَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ15 إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ16 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}[فَاطِرَ]

وَ قَالَ تَعَالَى:(هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم) محمد: ٣٨

*فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار كما انتقل غيركم و ترحلون منها و تخلونها لمن بعدكم كما رحل عنها من قبلكم و خلوها لكم فلم اتخذتموها قرارا؟

و توطنتم بها و نسيتم أنها دار ممر لا دار مقر.

و أن أمامكم دارًا هى الدار التى جمعت كل نعيم و سلمت من كل آفة و نقص؟

و هي الدار التى يسعى إليها الأولون و الآخرون و يرتحل نحوها السابقون و اللاحقون التى إذا وصلوها فثَمَّ الخلود الدائم و الإقامة اللازمة و الغاية التي لا غاية وراءها و المطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب و المرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب هنالك و الله ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين

و يتنافس فيه المتنافسون من:—

لذة الأرواح و كثرة الأفراح و نعيم الأبدان و القلوب و القرب من علام الغيوب

فلله همة تعلقت بتلك الكرامات و إرادة سمت إلى أعلى الدرجات

« وما أبخس حظ من رضى بالدون وأدنى همة من اختار صفقة المغبون »

و لا يستبعد المعرض الغافل سرعة الوصول إلى هذه الدا133ر

فـــــ(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ)لا محالة

(وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ)لله فارين من عقابه فإن نواصيكم تحت قبضته و أنتم تحت تدبيره وتصرف134

*وَ لَا تُعْجِزُونَ اللَّهَ بَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِكُمْ وَ إِنْ صِرْتُمْ تُرَابًا رُفَاتًا وَ عِظَامًا هُوَ قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

(قُلۡ)يا أيها الرسول لقومك إذا دعوتهم إلى الله و بينت لهم ما لهم و ما عليهم من حقوقه فامتنعوا من الانقياد لأمره و اتبعوا أهواءهم و استمروا على شركهم

(يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ)حالتكم التى أنتم عليها و رضيتموها لأنفسكم.

*هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَ وَعِيدٌ أَكِيدٌ أَيِ:-اسْتَمِرُّوا عَلَى طَرِيقِكُمْ وَ نَاحِيَتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ عَلَى هُدًى فَأَنَا مُسْتَمِرٌّ عَلَى طَرِيقَتِي وَ مَنْهَجِي كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ121 وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}[هُودٍ]

(إِنِّي عَامِلٞۖ)على أمر الله و متبع لمراضى الله(فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ)

*كقوله{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النُّور: 55]

*أنا أو أنتم و هذا من الإنصاف بموضع عظيم حيث بيَّن الأعمال و عامليها و جعل الجزاء مقرونا بنظر البصير ضاربا فيه صفحا عن التصريح الذى يغنى عنه التلويح.

و قد علم أن العاقبة الحسنة فى الدنيا و الآخرة للمتقين و أن المؤمنين لهم عقبى الدار

و أن كل معرض عما جاءت به الرسل عاقبته سوء و شر و لهذا قال:–

(إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ)فكل ظالم و إن تمتع فى الدنيا بما تمتع به فنهايته فيه الاضمحلال و التلف

« إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته »

*أَتَكُونُ لِي أَوْ لَكُمْ.وَ قَدْ أَنْجَزَ مَوْعِدَهُ لَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَكَّنَ لَهُ فِي الْبِلَادِ وَ حَكَّمَهُ فِي نَوَاصِي مُخَالِفِيهِ مِنَ الْعِبَادِ وَ فَتَحَ لَهُ مَكَّةَ وَأَظْهَرَهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَ عَادَاهُ وَ نَاوَأَهُ وَ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ عَلَى سَائِرِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَ كَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْبَحْرَيْنِ وَ كُلُّ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ.

ثُمَّ فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ وَ الْأَقَالِيمُ وَ الرَّسَاتِيقُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي أَيَّامِ خُلَفَائِهِ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [الْمُجَادَلَةِ: 20] وَ قَالَ{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ51 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}[غَافِرَ]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 105]

وَ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ رُسُلِهِ:-{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ13 وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إِبْرَاهِيمَ] وَ قَالَ تَعَالَى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النُّورِ: 55] وَ قَدْ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ الْمِنَّةُ أولا و آخرًا باطنًا و ظاهرًا .

*يخبر تعالى عمَّا عليه المشركون المكذبون للنبى ﷺ من:–

1–سفاهة العقل 2–و خفة الأحلام 3–و الجهل البليغ

و عدَّد تبارك و تعالى شيئا من خرافاتهم لينبه بذلك على ضلالهم و الحذر منهم

و أن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذى جاء به الرسول لا تقدح فيه أصلا فإنهم لا أهلية لهم فى مقابلة الحق135

فذكر من ذلك أنهم(وَجَعَلُواْ)أى:–جعل المشركون(لِلَّهِ)-جلَّ وعلا-

جزءًا(مِمَّا ذَرَأَ)خلق و برأ(مِنَ ٱلۡحَرۡثِ)من الزروع و الثمار(وَٱلۡأَنۡعَٰمِ)يقدمونه للضيوف و المساكين

(نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ)

و جعلوا قسمًا آخر من هذه الأشياء و قالوا (وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا)من الأوثان و الأنصاب

بئس حكم القوم و قسمتهم

و الحال أن الله تعالى هو الذى ذرأه للعباد و أوجده رزقا فجمعوا بين ثلاثة محاذير:–

1–منّتهم على الله فى جعلهم له نصيبا مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع

2–و إشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم و لم يوجدوا لهم شيئا فى ذلك

3–و حكمهم الجائر فى أن ما كان لله لم يبالوا به و لم يهتموا و لو كان واصلا إلى الشركاء

(فَمَا كَانَ)مخصصًا(لِشُرَكَآيِهِمۡ)

(فَلَا يَصِلُ)و لم يصل(إِلَى ٱللَّهِۖ)منه شيء و يصل إليها وحدها و اعتنوا به و احتفظوا به

(وَمَا كَانَ)مخصصا(لِلَّهِ)تعالى(فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآيِهِمۡۗ)

و ذلك أنهم إذا حصل لهم–من زروعهم و ثمارهم و أنعامهم التي أوجدها الله لهم–شيء جعلوه قسمين:–

1–قسمًا قالوا:هذا لله بقولهم و زعمهم و إلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه و لا يقبل عمل مَن أشرك به

2–و قسمًا جعلوه حصة شركائهم من الأوثان و الأنداد.

فإن وصل شيء مما جعلوه لله و اختلط بما جعلوه لغيره لم يبالوا بذلك و قالوا: الله غنى عنه فلا يردونه

و إن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلي ما جعلوه لله ردوه إلى محله و قالوا:إنها فقيرة لا بد من رد نصيبها.

(سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ يُقَسِّمُونَ فَإِنَّهُمْ أخطؤوا أَوَّلًا فِي الْقِسْمَةِ
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ مَلِيكُهُ وَ خَالِقُهُ وَ لَهُ الْمُلْكُ وَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَ فِي تَصَرُّفِهِ وَ تَحتَ قُدْرَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.
ثُمَّ لَمَّا قَسَّمُوا فِيمَا زَعَمُوا لَمْ يَحْفَظُوا الْقِسْمَةَ الَّتِي هِيَ فَاسِدَةٌ بَلْ جَارُوا فِيهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:-
{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ}[النَّحْل: 57]وَ قَالَ{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ}[الزُّخْرُف: 15]
وَ قَالَ تَعَالَى: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى21 تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النَّجْم]

فهل أسوأ من هذا الحكم و أظلم؟

«حيث جعلوا ما للمخلوق يجتهد فيه و ينصح و يحفظ أكثر مما يفعل بحق الله»

و يحتمل أن تأويل الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺأنه قال عن الله تعالى أنه قال:

« أنا أغنى الشركاء عن الشرك من أشرك معي شيئا تركته و شركه »

و أن معنى الآية أن ما جعلوه و تقربوا به لأوثانهم فهو تقرب خالص لغير الله ليس لله منه شيء

و ما جعلوه لله – على زعمهم– فإنه لا يصل إليه لكونه شركًا بل يكون حظ الشركاء و الأنداد لأن الله غني عنه لا يقبل العمل الذي أُشرِك به معه أحد من الخلق.

*عَن ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:-إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ كَانُوا إِذَا حَرَثُوا حَرْثًا أَوْ كَانَتْ لَهُمْ ثَمَرَةٌ جَعَلُوا لِلَّهِ مِنْهُ جُزْءًا وَ لِلْوَثَنِ جُزْءًا فَمَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ أَوْ ثَمَرَةٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ نَصِيبِ الْأَوْثَانِ حَفَظُوهُ وَ أَحْصَوْهُ.
وَ إِنْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فِيمَا سُمّي لِلصَّمَدِ رَدُّوهُ إِلَى مَا جَعَلُوهُ لِلْوَثَنِ.
وَ إِنْ سَبَقَهُمُ الْمَاءُ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلْوَثَنِ. فَسَقَى شَيْئًا جَعَلُوهُ لِلَّهِ جَعَلُوا ذَلِكَ لِلْوَثَنِ.

وَ إِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرْثِ وَ الثَّمَرَةِ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلَّهِ فَاخْتَلَطَ بِالَّذِى جَعَلُوهُ لِلْوَثَنِ
قَالُوا: هَذَا فَقِيرٌ. وَ لَمْ يَرُدُّوهُ إِلَى مَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ.
وَ إِنْ سَبَقَهُمُ الْمَاءُ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلَّهِ. فَسَقَى مَا سُمّي لِلْوَثَنِ تَرَكُوهُ لِلْوَثَنِ
وَ كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْبَحِيرَةَ وَ السَّائِبَةَ وَ الْوَصِيلَةَ وَ الْحَامَ فَيَجْعَلُونَهُ لِلْأَوْثَانِ وَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
يُحَرِّمُونَهُ لِلَّهِ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا}١٣٦

(وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ)و من سفه المشركين و ضلالهم أنه زيَّن (لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)

(شُرَكَآؤُهُمْ)رؤساؤهم و شياطينهم(قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ)و هو:–الوأد الذين يدفنون أولادهم :–
الذكور خشية الافتقار و الإناث خشية العار

و كل هذا من خدع الشياطين الذين يريدون(لِيُرْدُوهُمْ)أن يُرْدُوهم بالهلاك

(وَلِيَلْبِسُواْ)ليخلطوا(عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ)فيلتبس فيضلوا و يهلكوا فيفعلون الأفعال التى فى غاية القبح
و لا يزال شركاؤهم يزينونها لهم حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة و الخصال المستحسنة

(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ)أن يمنعهم و يحول بينهم و بين هذه الأفعال و يمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم(مَا فَعَلُوهُ)
و لكن اقتضت حكمته التخلية بينهم و بين أفعالهم استدراجا منه لهم و إمهالا لهم و عدم مبالاة بما هم عليه

و لهذا قال:–(فَذَرْهُمْ)دعهم(وَمَا يَفْتَرُونَ)يكذبون و لا تحزن عليهم فإنهم لن يضروا الله شيئا.
*وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ58يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[النَّحْلِ]وَ قَالَ{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ 8 بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[التَّكْوِيرِ]١٣٧

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾

و من أنواع سفاهتهم أن الأنعام التى أحلها الله لهم عموما و جعلها رزقا و رحمة يتمتعون بها و ينتفعون قد اخترعوا فيها بِدعًا و أقوالا من تلقاء أنفسهم فعندهم اصطلاح فى بعض الأنعام و الحرث:-

(وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ)محرم إِنَّمَا احْتَجَزُوهَا لِآلِهَتِهِمْ.

(لَّا يَطۡعَمُهَآ)لا يجوز أن يطعمه أحد (إِلَّا مَن نَّشَآءُ)أردنا أن يطعمه أو وصفناه بوصف-من عندهم-

و كل هذا بزعمهم لا مستند لهم و لا حجة إلا أهويتهم و آراؤهم الفاسدة.

*وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}[يُونُس: 59] وَ كَقَوْلِهِ{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الْمَائِدَة: 103]

(وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا)و أنعام ليست محرمة من كل وجه بل يحرمون ظهورها أى:-

بالركوب و الحمل عليها و يحمون ظهرها و يسمونها الحام و كذلك:- الْبَحِيرَةُ وَ السَّائِبَةُ

(وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا)بل يذكرون اسم أصنامهم و ما كانوا يعبدون من دون الله عليها

*وَ أَمَّا الْأَنْعَامُ الَّتِي لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا قَالَ:-إِذَا أَوْلَدُوهَا وَ لَا إِنْ نَحَرُوهَا.

(ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ)و ينسبون تلك الأفعال إلى الله و هم كذبة فُجَّار فى ذلك.

(سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)على الله من إحلال الشرك و تحريم الحلال من الأكل و المنافع138

*و من آرائهم السخيفة أنهم يجعلون بعض الأنعام و يعينونها—محرما ما فى بطنها على الإناث دون الذكور

فيقولون:—(وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا)حلال لهم لا يشاركهم فيها النساء

(وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا)نسائنا هذا إذا ولد حيا(وَإِن يَكُن)ما فى بطنها(مَّيْتَةً)يولد ميتا

(فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ)فهو حلال للذكور و الإناث.

(سَيَجْزِيهِمْ)الله(وَصْفَهُمْ)

حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام و وصفوا الحرام بالحلال فناقضوا شرع الله و خالفوه و نسبوا ذلك إلى الله.

(إِنَّهُۥ حَكِيمٌ)حيث أمهل لهم و مكنهم مما هم فيه من الضلال.

(عَلِيمٌ)بهم لا تخفى عليه خافية و هو تعالى يعلم بهم و بما قالوه عليه و افتروه و هو يعافيهم و يرزقهم139

*ثم بين خسرانهم و سفاهة عقولهم فقال:—

(قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ)دفنوا بناتهم أحياء خشية العار و الفقر و ربما قتلوا الذكور أيضا خوف

الفقر(سَفَهًا)خفة فى عقولهم و جهالة.و صار وصْفُهم—بعد العقول الرزينة—السفه المردى و الضلال.

(بِغَيْرِ عِلْمٍ)أتاهم فى ذلك و جهلا منهم أن الله تعالى هو رازق أولادهم و ليسوا هم الذين يرزقونهم

*خسروا دينهم و أولادهم و عقولهم و خسارتهم فى الدنيا بضياع أولادهم و فى الآخرة بالعذاب الأليم

(وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ)ما جعله رحمة لهم و ساقه رزقا لهم. فردوا كرامة ربهم

و لم يكتفوا بذلك بل وصفوها بأنها حرام و هى من أَحَلِّ الحلال.

و كل هذا (ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ)كذبا يكذب به كل معاند كَفَّار حيث ادعوا أنه تعالى أمرهم بذلك

(قَدْ ضَلُّواْ)ضلالا بعيدا(وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)فى شيء من أمورهم.

*البخارى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

إِذَا سَرَّكَ(أفرحك أي أحببت ورغبت)أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلاَثِينَ وَ مِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ

(الآيات التى تبين جهلهم و فعلهم وترد عليهم و هى من 136 - 150)

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 140] إِلَى قَوْلِهِ {قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [الأنعام: 140]140

*لما ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث و الأنعام ذكر تبارك و تعالى نعمته

عليهم بذلك و وظيفتهم اللازمة عليهم فى الحروث و الأنعام فقال:—

(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ)أوجد(جَنَّٰتٖ)بساتين فيها أنواع الأشجار المتنوعة و النباتات المختلفة كالأعناب

(مَّعۡرُوشَٰتٖ)بعض تلك الجنات مجعول لها عرش تنتشر عليه الأشجار و يعاونها فى النهوض عن الأرض.

و بعضها(وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ)خال من العروش(غير مرفوع)تنبت على ساق أو تنفرش فى الأرض النخل و الزرع

*و فى هذا تنبيه على كثرة منافعها و خيراتها و أنه تعالى علم العباد كيف يعرشونها و ينمونها.

(وَ)أنشأ تعالى(وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ)طعمه كله فى محل واحد و يشرب من ماء واحد

و يفضل الله بعضه على بعض فى الأكل.

*و خص تعالى النخل و الزرع على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها و لكونها هى القوت لأكثر الخلق.

(وَ) أنشأ تعالى (وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا)فى شجره(وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ)فى ثمره و طعمه.

كأنه قيل:-لأى شيء أنشأ الله هذه الجنات و ما عطف عليها؟فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال:-

(كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ)أى:النخل و الزرع(إِذَآ أَثۡمَرَ)من رُطَبِه و عِنَبِه

(وَءَاتُواْ)أعطوا(حَقَّهُۥ)حق الزرع و هو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة فى الشرع

*أمرهم أن يعطوها(يَوۡمَ حَصَادِهِۦ)و ذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول لأنه الوقت الذى تتشوف إليه نفوس الفقراء و يسهل حينئذ إخراجه على أهل الزرع و يكون الأمر فيها ظاهرا لمن أخرجها حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج.

(وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ)يعم النهى عن الإسراف فى الأكل (و هو مجاوزة الحد و العادة)

و أن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة و الإسراف فى إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه و يضر نفسه أو عائلته أو غرماءه فكل هذا من الإسراف الذى نهى الله عنه الذى لا يحبه الله بل يبغضه و يمقت عليه.

و فى هذه الآية دليل على:-

1-وجوب الزكاة فى الثمار و أنه لا حول لها بل حولها حصادها فى الزروع و جذاذ النخيل

2-و أنه لا تتكرر فيها الزكاة لو مكثت عند العبد أحوالا كثيرة إذا كانت لغير التجارة لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده.

3-و أنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع و الثمر أنه لا يضمنها

4-و أنه يجوز الأكل من النخل و الزرع قبل إخراج الزكاة منه و أنه لا يحسب ذلك من الزكاة بل يزكى المال الذى يبقى بعده.

*و قد كان النبى ﷺ يبعث خارصا يخرص للناس ثمارهم و يأمره أن يدع لأهلها الثلث أو الربع بحسب ما يعتريها من الأكل و غيره من أهلها و غيرهم

(إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ)

لما فيه مضرة العقل و البدن كقوله (وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) الأعراف٣١ ﴿١٤١﴾

أي: (و) خلق و أنشأ (وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً) بعضها تحملون عليه و تركبونه

*فَأَمَّا الْحَمُولَةُ فَالْإِبِلُ وَ الْخَيْلُ وَ الْبِغَالُ وَ الْحَمِيرُ وَ كُلُّ شَيْءٍ يُحْمَلُ عَلَيْهِ

(وَفَرْشًا ۚ)(هى صغار الإبل و قيل الغنم و ليس المعنى من الفراش)

و بعضها لا تصلح للحمل و الركوب عليها لصغرها كالفصلان و نحوها و هى الفرش فهى من جهة الحمل و الركوب

*تنقسم إلى هذين القسمين.

*وَ أَمَّا الْفَرْشُ فَالْغَنَمُ وَ الْفَرْشُ مَا تَأْكُلُونَ وَ تَحْلِبُونَ شَاةٌ لَا تَحْمِلُ تَأْكُلُونَ لَحْمَهَا وَ تَتَّخِذُونَ مِنْ صُوفِهَا لِحَافًا وَ فَرْشًا

*وَ هَذَا الَّذِى قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ حَسَنٌ يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ71 وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} يس

وَ قَالَ {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ} إِلَى أَنْ قَالَ: {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النَّحْلِ: 69- 80]

وَ قَالَ {اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ79 وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ80 وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ} [غافر]

*و أما من جهة الأكل و أنواع الانتفاع فإنها كلها تؤكل و ينتفع بها.

و لهذا قال:-(كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ)طرق و أعمال

(ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ)التى من جملتها أن تحرموا بعض ما رزقكم الله

(إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)ظاهر العداوة فلا يأمركم إلا بما فيه مضرتكم و شقاؤكم الأبدى.

* كما قَالَ{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[فَاطِرٍ: 6]

وَ قَالَ{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا}[الْأَعْرَافِ: 27]

وَ قَالَ{أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا}[الْكَهْفِ: 50] و الآيات فى هذا كثيرة ﴿١٤٢﴾

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

*وَ هَذَا بَيَانٌ لِجَهْلِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِيمَا كَانُوا حَرّموا مِنَ الْأَنْعَامِ وَ جَعَلُوهَا أَجْزَاءً وَ أَنْوَاعًا:-
بَحِيرَةً وَ سَائِبَةً وَ وَصِيلَةً وَ حَامًا وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا فِي الْأَنْعَامِ وَ الزُّرُوعِ وَ الثِّمَارِ
فَبَيَّنَ أَنَّهُ تَعَالَى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ و غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَ أَنَّهُ أَنْشَأَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَ فَرْشًا.
ثُمَّ بَيَّنَ أَصْنَافَ الْأَنْعَامِ إِلَى:-
غَنَمٍ وَ هُوَ:-1-بَيَاضٌ وَ هُوَ الضَّأْنُ 2-وَ سَوَادٌ وَ هُوَ الْمَعِزُ ذَكَرُهُ وَ أُنْثَاهُ
وَ إِلَى إِبِلٍ:-ذُكُورِهَا وَ إِنَاثِهَا وَ بَقَرٍ كَذَلِكَ.
وَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَ لَا شَيْئًا مِنْ أَوْلَادِهِ.
بَلْ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ لِبَنِي آدَمَ أَكْلًا وَ رُكُوبًا وَ حَمُولَةً وَ حَلْبًا وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْمَنَافِعِ كَمَا قَالَ:-
{وَأَنزلَ لَكُمْ مِنَ الأنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [الزُّمَر: 6]

*و هذه الأنعام التي امتن الله بها على عباده و جعلها كلها حلالا طيبا فصلها بأنها:-

(ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ)ذكر و أنثى

(وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ)كذلك فهذه أربعة كلها داخلة فيما أحل الله لا فرق بين شيء منها

فقل لهؤلاء المتكلفين الذين يحرمون منها شيئا دون شيء أو يحرمون بعضها على الإناث دون الذكور ملزما لهم بعدم وجود الفرق بين ما أباحوا منها و حرموا:-

(قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ)من الضأن و المعز(حَرَّمَ)الله فلستم تقولون بذلك و تطردونه

(أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ)حرم الله من الضأن و المعز فليس هذا قولكم لا تحريم الذكور الخلص و لا الإناث الخلص من الصنفين

بقي إذا كان الرحم مشتملا على ذكر و أنثى أو على مجهول فقال:–

(أَمَّا)تحرمون (ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ)أنثى الضأن و أنثى المعز من غير فرق بين ذكر و أنثى فلستم تقولون أيضا بهذا القول.

فإذا كنتم لا تقولون بأحد هذه الأقوال الثلاثة التى حصرت الأقسام الممكنة في ذلك فإلى أى شيء تذهبون؟

(نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)فى قولكم و دعواكم

و من المعلوم أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولا سائغا فى العقل إلا واحدا من هذه الأمور الثلاثة.

و هم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون:–إن بعض الأنعام التى يصطلحون عليها اصطلاحات من عند أنفسهم حرام على الإناث دون الذكور أو محرمة في وقت من الأوقات أو نحو ذلك من الأقوال التى يعلم علما لا شك فيه أن مصدرها من الجهل المركب و العقول المختلة المنحرفة و الآراء الفاسدة

*و أن الله ما أنزل –بما قالوه– من سلطان و لا لهم عليه حجة و لا برهان.ثم ذكر فى الإبل و البقر مثل ذلك.

*فلما بين بطلان قولهم و فساده قال لهم قولا لا حيلة لهم فى الخروج من تبعته إلا فى اتباع شرع الله.

(أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ)حاضرين

(إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ)لم يبق عليكم إلا دعوى لا سبيل لكم إلى صدقها و صحتها و هى أن تقولوا:–

إن الله وصّانا بذلك التحريم للأنعام و أوحى إلينا كما أوحى إلى رسله

*بل أوحى إلينا وحيا مخالفا لما دعت إليه الرسل و نزلت به الكتب و هذا افتراء لا يجهله أحد و لهذا قال:–

(فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا)لا أحد أظلم منه فهو مع كذبه و افترائه على الله(لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ)

قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل الله(بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ)بينة منه و لا برهان و لا عقل و لا نقل.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)الذين لا إرادة لهم فى غير الظلم و الجور و الافتراء على الله.

*وَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:-عَمْرُو بْنُ لُحَيّ بْنِ قَمَعَة فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَ وَصَلَ الْوَصِيلَةَ وَ حَمَى الْحَامِيَ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ.

*البخارى 4623 عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ قَالَ:-

البَحِيرَةُ: الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ فَلاَ يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ

وَ السَّائِبَةُ: كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ لاَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ "

قَالَ: وَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»

وَ الوَصِيلَةُ:-النَّاقَةُ البِكْرُ تُبَكِّرُ فِي أَوَّلِ نِتَاجِ الإِبِلِ ثُمَّ تُثَنِّى بَعْدُ بِأُنْثَى وَ كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِمْ إِنْ وَصَلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى لَيْسَ بَيْنَهُمَا ذَكَرٌ

وَ الحَامِ:-فَحْلُ الإِبِلِ يَضْرِبُ الضِّرَابَ المَعْدُودَ فَإِذَا قَضَى ضِرَابَهُ وَدَعُوهُ لِلطَّوَاغِيتِ وَ أَعْفَوْهُ مِنَ الحَمْلِ فَلَمْ يُحْمَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَ سَمَّوْهُ الحَامِيَ "

*لما ذكر تعالى ذم المشركين:-على ما حرموا من الحلال و نسبوه إلى الله و أبطل قولهم أمر تعالى رسوله أن يبين للناس ما حرمه الله عليهم ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال مَنْ نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله و قد قال لرسوله:-

(قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ)آكل يأكله بقطع النظر عن تحريم الانتفاع بغير الأكل و عدمه.

(إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً)و الميتة:-ما مات بغير ذكاة شرعية فإن ذلك لا يحل.

كما قال تعالى:-(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ)

توجيهات و مواساة للرسول و للمؤمنين 145-165

ما حرمه الله فى القرآن علينا و على اليهود فى التوراة 145-147

(أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا)مراقًا

*و هو الدم الذى يخرج من الذبيحة عند ذكاتها فإنه الدم الذى يضر احتباسه فى البدن فإذا خرج من البدن زال الضرر بأكل اللحم و مفهوم هذا اللفظ أن الدم الذى يبقى فى اللحم و العروق بعد الذبح أنه حلال طاهر.

(أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ)ــــهم(رِجْسٌ)خبث نجس مضر حرمه الله لطفا بكم و نزاهة لكم عن مقاربة الخبائث.

(أَوْ)إلا أن يكون

(فِسْقًا)خروجا عن طاعة الله إلى معصيته

(أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ)أى:إلا أن تكون الذبيحة مذبوحة لغير الله من الأوثان و الآلهة التى يعبدها المشركون

*و مع هذا فهذه الأشياء المحرمات(فَمَنِ ٱضْطُرَّ)إليها أى:-

حملته الحاجة و الضرورة إلى أكل شيء منها بأن لم يكن عنده شيء و خاف على نفسه التلف

(غَيْرَ بَاغٍ)أى: مريدٍ لأكلها من غير اضطرار(وَلَا عَادٍ)وَ لا متعد أى:متجاوز للحد بأن يأكل زيادة عن حاجته.

(فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)أى: فالله قد سامح من كان بهذه الحال.

و اختلف العلماء رحمهم الله فى هذا الحصر المذكور في هذه الآية مع أن ثَمَّ محرمات لم تذكر فيها كالسباع و كل ذى مخلب من الطير و نحو ذلك

فقال بعضهم:-إن هذه الآية نازلة قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها فلا ينافى هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك لأنه لم يجده فيما أوحى إليه فى ذلك الوقت

و قال بعضهم:–إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات بعضها صريحا و بعضها يؤخذ من المعنى و عموم العلة.

فإن قوله تعالى فى تعليل الميتة و الدم و لحم الخنزير أو الأخير منها فقط:–(فَإِنَّهُ رِجْسٌ)

وصف شامل لكل محرم فإن المحرمات كلها رجس وخبث و هى من الخبائث المستقذرة التى حرمها الله على عباده صيانة لهم و تكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس.

*و يؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السُّنَّة فإنها تفسر القرآن و تبين المقصود منه

فإذا كان الله تعالى لم يحرم من المطاعم إلا ما ذكر و التحريم لا يكون مصدره إلا شرع الله –دل ذلك على أن المشركين الذين حرموا ما رزقهم الله مفترون على الله متقولون عليه ما لم يقل.

و فى الآية احتمال قوى لولا أن الله ذكر فيها الخنزير و هو: أن السياق فى نقض أقوال المشركين المتقدمة في تحريمهم لما أحله الله و خوضهم بذلك بحسب ما سولت لهم أنفسهم و ذلك في بهيمة الأنعام خاصة و ليس منها محرم إلا ما ذكر فى الآية:–الميتة منها و ما أهل لغير الله به و ما سوى ذلك فحلال.

و لعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال أن بعض الجهال قد يدخله فى بهيمة الأنعام و أنه نوع من أنواع الغنم كما قد يتوهمه جهلة النصارى و أشباههم فينمونها كما ينمون المواشى و يستحلونها و لا يفرقون بينها و بين الأنعام فهذا المحرم على هذه الأمة كله من باب التنزيه لهم والصيانة.

و أما ما حرم على أهل الكتاب فبعضه طيب و لكنه حرم عليهم عقوبة لهم

*وَ الْمَقْصُودُ مِنْ سِيَاقِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا مَا ابْتَدَعُوهُ مِنْ تَحْرِيمِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِآرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ مِنَ:-الْبَحِيرَةِ وَ السَّائِبَةِ وَ الْوَصِيلَةِ وَ الْحَامِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَجِدُ فِيمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ وَ إِنَّمَا حُرِّمَ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ:-الْمَيْتَةِ وَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ وَ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ.

وَ مَا عَدَا ذَلِكَ فَلَمْ يُحَرَّمْ وَ إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ مَسْكُوتٌ عَنْهُ فَكَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنْتُمْ أَنَّهُ حَرَامٌ وَ مِنْ أَيْنَ حَرَّمْتُمُوهُ وَ لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ ؟﴿١٤٥﴾و لهذا قال:–

(وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ)وَ هُوَ الْبَهَائِمُ وَ الطَّيْرُ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ كَـ:-الْإِبِلِ وَ النَّعَامِ وَ الْأَوِزِّ وَ الْبَطِّ

(وَ)حرمنا عليهم(وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ)بعض أجزائها و هو:(شُحُومَهُمَآ)

و ليس المحرم جميع الشحوم منها بل شحم الألية و الثَّرْب(1)وَ شَحْمَ الْكُلْيَتَيْنِ

و لهذا استثنى الشحم الحلال من ذلك فقال:–(إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ)الشحم المخالط للأمعاء

الثرب : شحم قد غشى الكرش و الأمعاء رقيق :مختار الصحاح

(أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ)التحريم على اليهود

(جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ)

بسبب ظلمهم و تعديهم فى حقوق الله و حقوق عباده فحرم الله عليهم هذه الأشياء عقوبة لهم و نكالا

كقوله(فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا)النساء: ١٦٠

(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)

فى كل ما نقول و نفعل و نحكم به و من أصدق من الله حديثا و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون.

(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)

فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ تَحْرِيمِنَا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا كَمَا زَعَمُوا مِنْ أَنَّ إِسْرَائِيلَ هُوَ الَّذِى حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

* البخارى2223-عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:-

بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَنَّ فُلاَنًا(هو سمرة ﷺ)بَاعَ خَمْرًا(بعدما تخللت)فَقَالَ:قَاتَلَ اللَّهُ فُلاَنًا أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-«قَاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا(أذابوها) فَبَاعُوهَا»١٤٦

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾

(فَإِن كَذَّبُوكَ)أي:-هؤلاء المشركون فاستمر على دعوتهم بالترغيب و الترهيب

(فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ)عامة شاملة لجميع المخلوقات كلها فسارعوا إلى رحمته بأسبابها التي رأسها و أسها و مادتها تصديق محمد ﷺفيما جاء به

(وَلَا يُرَدُّ)يُدْفع(بَأۡسُهُۥ)عقابه(عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ)الذين كثر إجرامهم و ذنوبهم.

فاحذروا الجرائم الموصلة لبأس الله التي أعظمها و رأسها تكذيب محمد ﷺ.

*تَرْهِيبٌ لَهُمْ مِنْ مُخَالَفَتِهِمُ الرَّسُولَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ.

وَ كَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَ التَّرْهِيبِ فِي الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ:-

{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[الآية: 165] وَ قَالَ{وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}[الرَّعْدِ: 6]وَ قَالَ{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ} [الحجر]

وَ قَالَ{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ}[غَافِرَ: 3] وَ قَالَ{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ12 إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ13 وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}[الْبُرُوجِ] وَ الْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا 147

(سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ)

*هذا إخبار من الله أن المشركين :-

1-سيحتجون على شركهم و تحريمهم ما أحل الله بالقضاء و القدر

2-و يجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير و الشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

و قد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه كما قال في الآية الأخرى:-

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ)النحل: ٣٥ و (وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)الزخرف: ٢٠

فأخبر تعالى أن هذه الحجة لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل و يحتجون بها

(كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)فلم يزل هذا دأبهم (حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ) أهكلهم الله و أذاقهم بأسه.

فلو كانت حجة صحيحة لدفعت عنهم العقاب و لما أحل الله بهم العذاب لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه

*فَعُلِم أنها حجة فاسدة و شبهة كاسدة من عدة أوجه: -

الرد على شبهات المشركين الواهية 150-158

1-ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة لم تحل بهم العقوبة.

2-أن الحجة لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم و البرهان

فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن و الخرص الذى لا يغنى من الحق شيئا فإنها باطلة

*و لهذا قال:(قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ)بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَاضٍ عَنْكُمْ فِيمَا أَنْتُمْ فيهِ

فلو كان لهم علم-و هم خصوم ألداء-(فَتُخْرِجُوهُ)فَتُظْهِرُوهُ(لَنَآ ۖ)وَ تُبَيِّنُوهُ وَ تُبْرِزُوهُ

*فلما لم يخرجوه عُلِمَ أنه لا علم عندهم.

(إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ)الْوَهْمَ وَ الْخَيَالَ.وَ الْمُرَادُ بِالظَّنِّ هَاهُنَا: الِاعْتِقَادُ الْفَاسِدُ.

(وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)تَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ فِيمَا ادَّعَيْتُمُوهُ.

*و مَنْ بنى حججه على الخرص و الظن فهو مبطل خاسر فكيف إذا بناها على البغى و العناد و الشر و الفساد؟

3-أن الحجة لله البالغة التي لم تبق لأحد عذرا التى اتفقت عليها:-الأنبياء و المرسلون و الكتب الإلهية و الآثار النبوية و العقول الصحيحة و الفطر المستقيمة و الأخلاق القويمة

فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل لأن نقيض الحق لا يكون إلا باطلا.

4-أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة و إرادة يتمكن بها من فعل ما كُلِف به

فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله و لا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء و القدر ظلم محض و عناد صرف.

5-أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم فإن شاءوا فعلوا و إن شاءوا كفوا.

و هذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر و أنكر المحسوسات فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية و الحركة القسرية و إن كان الجميع داخلا فى مشيئة الله و مندرجا تحت إرادته.

6–أن المحتجين على المعاصى بالقضاء و القدر يتناقضون فى ذلك.

فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك و احتج بالقضاء و القدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج و لغضبوا من ذلك أشد الغضب.

فيا عجبا كيف يحتجون به على معاصي الله و مساخطه.و لا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟

7–أن احتجاجهم بالقضاء و القدر ليس مقصودا و يعلمون أنه ليس بحجة و إنما المقصود منه دفع الحق و يرون أن الحق بمنزلة الصائل فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام و إن كانوا يعتقدونه خطأ148

(قُلْ)-أيها الرسول-لهم:-(فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ)القاطعة التى يقطع بها ظنونكم

كقوله(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ)الأنعام: ٣٥(فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ)(١٤٩)

(قُلۡ)قل لمن حرَّم ما أحل الله و نسب ذلك إلى الله:–(هَلُمَّ)أحْضِروا

(شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ)

فإذا قيل لهم هذا الكلام فهم بين أمرين:–

1–أن لا يحضروا أحدا يشهد بهذا فتكون دعواهم إذًا باطلة خلية من الشهود و البرهان.

2–أن يحضروا أحدا يشهد لهم بذلك و لا يمكن أن يشهد بهذا إلا كل أفاك أثيم غير مقبول الشهادة

و ليس هذا من الأمور التى يصح أن يشهد بها العدول و لهذا قال–ناهيا نبيه و أتباعه عن هذه الشهادة–:–

(فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ)لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَشْهَدُونَ وَ الْحَالَةُ هَذِهِ كَذِبًا وَ زُورًا

(وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ)يسوون به غيره من الأنداد و الأوثان.

*فإذا كانوا كافرين باليوم الآخر غير موحدين لله كانت أهويتهم مناسبة لعقيدتهم و كانت دائرة بين الشرك و التكذيب بالحق فحرى بهوى هذا شأنه أن ينهى الله خيار خلقه عن اتباعه و عن الشهادة مع أربابه و علم حينئذ أن تحريمهم لما أحل الله صادر عن تلك الأهواء المضلة(١٥٠)

*يقول تعالى لنبيه ﷺ:–(قُلۡ)لهؤلاء الذين حرموا ما أحل الله(تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ)أقص

(مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ)تحريما عاما شاملا لكل أحد محتويا على سائر المحرمات من:–

المآكل و المشارب و الأقوال و الأفعال.

أصول المحرمات و الفضائل فى الاسلام 151-153

(أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ)أى: لا قليلا و لا كثيرا.

و حقيقة الشرك بالله:-

1-أن يعبد المخلوق كما يعبد الله 2-أو يعظم كما يعظم الله 3-أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية و الإلهية

و إذا ترك العبد الشرك كله صار موحدا مخلصا لله في جميع أحواله فهذا حق الله على عباده أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا.

*البخارى1237 عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي(هو جبريل عليه السلام آت اسم فاعل من أتى وأصله أتي حذفت الياء لالتقاء الساكنين)فَأَخْبَرَنِي-أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي-أَنَّهُ:-مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ "قُلْتُ:- وَ إِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ:«وَ إِنْ زَنَى وَ إِنْ سَرَقَ»

*ثم بدأ بآكد الحقوق بعد حقه فقال:-

(وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ)من الأقوال الكريمة الحسنة و الأفعال الجميلة المستحسنة

فكل قول و فعل يحصل به منفعة للوالدين أو سرور لهما فإن ذلك من الإحسان و إذا وجد الإحسان انتفى العقوق.

*كقوله (وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ)لقمان: ١٤

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا)الإسراء: ٢٣

*البخارى527 - عن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ:أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ:-«الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:-«الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»قَالَ:-حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَ لَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي

(وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم)من ذكور و إناث(مِّنۡ)بسبب(إِمۡلَٰقٖ)فقر و ضيق من الرزق

كما كان ذلك موجودا في الجاهلية القاسية الظالمة و إذا كانوا منهيين عن قتلهم في هذه الحال و هم أولادهم فنهيهم عن قتلهم لغير موجب أو قتل أولاد غيرهم من باب أولى و أحرى.

*كقوله(وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ) الإسراء: ٣١

(نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ)

قد تكفلنا برزق الجميع فلستم الذين ترزقون أولادكم بل و لا أنفسكم فليس عليكم منهم ضيق.

*البخارى 7520 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَ هُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»قُلْتُ:-ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»

(وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ)أى:–الذنوب العظام المستفحشة

(مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ)

أى:لا تقربوا الظاهر منها و الخفى أو المتعلق منها بالظاهر و المتعلق بالقلب و الباطن.

و النهى عن قربان الفواحش أبلغ من النهى عن مجرد فعلها

فإنه يتناول:–النهى عن مقدماتها و وسائلها الموصلة إليها.

*البخارى4637 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ‌رضي الله عنه–قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟
قَالَ: نَعَمْ – وَ رَفَعَهُ قَالَ: «لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ فَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ وَ لاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ فَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»

(وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ)و هى:النفس المسلمة من ذكر و أنثى صغير و كبير بر و فاجر و الكافرة التى قد عصمت بالعهد و الميثاق.

(إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ)كالزانى المحصن و النفس بالنفس و التارك لدينه المفارق للجماعة.

*البخارى 6878 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ‌رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
" لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ(لا يباح قتله) يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ:-
1-النَّفْسُ بِالنَّفْسِ(تزهق نفس القاتل عمدا بغير حق بمقابلة النفس التى أزهقها)
2-وَ الثَّيِّبُ الزَّانِي(الثيب من سبق له زواج ذكرا أم أنثى فيباح دمه إذا زنى)
3-وَ المَارِقُ(الخارج منه خروجا سريعا)مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ(المفارق لجماعة المسلمين)

*البخارى6914 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ وَ إِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»

(ذَٰلِكُمۡ)المذكور(وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ)عن الله وصيته ثم تحفظونها ثم تراعونها و تقومون بها.

و دلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به(١٥١)

وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ)بأكل أو معاوضة على وجه المحاباة لأنفسكم أو أخذ من غير سبب.

(إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)أى: إلا بالحال التى تصلح بها أموالهم و ينتفعون بها.

فدل هذا على أنه لا يجوز قربانها و التصرف بها على وجه يضر اليتامى أو على وجه لا مضرة فيه و لا مصلحة

(حَتَّىٰ يَبْلُغَ)اليتيم(أَشُدَّهُۥ)أى:حتى يبلغ و يرشد و يعرف التصرف

فإذا بلغ أشده أُعطى حينئذ مالُه و تصرف فيه على نظره.

و فى هذا دلالة على أن اليتيم – قبل بلوغ الأشُد– محجور عليه و أن وليه يتصرف فى ماله بالأحظ

و أن هذا الحجر ينتهى ببلوغ الأشُد.

(وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ)بالعدل و الوفاء التام فإذا اجتهدتم فى ذلك

*كما توعد على تركه فى قوله(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)المطففين

*وَ قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ كَانُوا يَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ.

فـــــ(لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)أى:–بقدر ما تسعه و لا تضيق عنه.

فمَن حرَص على الإيفاء فى الكيل و الوزن ثم حصل منه تقصير لم يفرط فيه و لم يعلمه فإن الله عفو غفور .

*مَنِ اجْتَهَدَ فِي أَدَاءِ الْحَقِّ وَ أَخْذِهِ فَإِنْ أَخْطَأَ بَعْدَ اسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ وَ بَذْلِ جُهْدِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ.

و بهذه الآية و نحوها استدل الأصوليون:-

1- بأن الله لا يكلف أحدا ما لا يطيق

2-و على أن من اتقى الله فيما أمر و فعل ما يمكنه من ذلك فلا حرج عليه فيما سوى ذلك.

(وَإِذَا قُلْتُمْ)قولا تحكمون به بين الناس و تفصلون بينهم الخطاب و تتكلمون به على المقالات و الأحوال

(فَٱعْدِلُوا۟)دون ميل عن الحق فى خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة فى قولكم بمراعاة الصدق فى من تحبون و من تكرهون و الإنصاف و عدم كتمان ما يلزم بيانه

فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو فى مقالته من الظلم المحرم.

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع فالواجب عليه أن يعطى كل ذى حق حقه و أن يبين ما فيها من الحق و الباطل و يعتبر قربها من الحق و بُعدها منه.

و ذكر الفقهاء أن القاضى يجب عليه العدل بين الخصمين فى لحظه و لفظه.

(وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ)قرابة منكم فلا تميلوا معه بغير حق

(وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟)و هذا يشمل العهد:-

1-الذى عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه و الوفاء بها

2-و من العهد الذى يقع التعاقد به بين الخلق.

فالجميع يجب الوفاء به و يحرم نقضه و الإخلال به.

(ذَٰلِكُمْ)الأحكام المذكورة

(وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)ما بينه لكم من الأحكام و تقومون بوصية الله لكم حق القيام و تعرفون ما فيها من الحكم و الأحكام152

*و لما بين كثيرا من الأوامر الكبار و الشرائع المهمة أشار إليها و إلى ما هو أعم منها فقال:-

(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا)أى: هذه الأحكام و ما أشبهها مما بينه الله فى كتابه و وضحه لعباده صراط الله الموصل إليه و إلى دار كرامته المعتدل السهل المختصر.

(فَٱتَّبِعُوهُ)لتنالوا الفوز و الفلاح و تدركوا الآمال و الأفراح.

(وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ)أى: الطرق المخالفة لهذا الطريق

(فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ)تضلكم عنه و تفرقكم يمينا و شمالا

فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم.

* المنتخب من مسند عبد بن حميد (1139)عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- فَخَطَّ خَطًّا هَكَذَا أَمَامَهُ فَقَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ". وَ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَ خَطَّيْنِ عَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: "هَذِهِ سُبُلُ الشَّيْطَانِ"
ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:
{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: 153] الْآيَةَ.

*أحمد 17634 عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَ عَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَ عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَ عَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ:-أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَ لَا تَتَعَرَّجُوا وَ دَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ
وَ الصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَ السُّورَانِ:- حُدُودُ اللَّهِ وَ الْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ:-مَحَارِمُ اللَّهِ وَ ذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: - كِتَابُ اللَّهِ وَ الدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ:- وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ "

(ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم علما و عملا صرتم من:–

1–المتقين 2–و عباد الله المفلحين

*و وحد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل واحد موصل إليه و الله هو المعين للسالكين على سلوكه 153

(ثُمَّ)فى هذا الموضع ليس المراد منها الترتيب الزمانى فإن زمن موسى عليه السلام متقدم على تلاوة الرسول محمد ﷺ هذا الكتاب و إنما المراد الترتيب الإخبارى.

فأخبر(ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ)و هو التوراة

ما أنزل الله من كتاب إلا و فيه هداية و يجب اتباعه و وعيد من خالفه 154-157

(تَمَامًا)لنعمته و كمالا لإحسانه.

(عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ)من أُمة موسى فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنِعَم لا تحصى.

من جملتها و تمامها إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم نعمة الله و وجب عليهم القيام بشكرها.

*جَزَاءً عَلَى إِحْسَانِهِ فِي الْعَمَلِ وَ قِيَامِهِ بِأَوَامِرِنَا وَ طَاعَتِنَا كَقَوْلِهِ:{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ} [الرَّحْمَن:60]
وَ كَقَوْلِهِ{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البَقَرَة:124] وَ قَوْلُهُ: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السَّجْدَة:24] .

(وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ)يحتاجون إلى تفصيله من:–الحلال و الحرام و الأمر و النهى و العقائد و نحوها

*كقوله (وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ) الأعراف: ١٤٥

(وَهُدًى)يهديهم إلى الخير و يعرفهم بالشر في الأصول و الفروع.

(وَرَحْمَةً)يحصل به لهم السعادة و الرحمة و الخير الكثير.

(لَّعَلَّهُم)بسبب إنزالنا الكتاب و البينات عليهم(بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ)فإنه اشتمل من الأدلة القاطعة على البعث

و الجزاء بالأعمال ما يوجب لهم الإيمان بلقاء ربهم و الاستعداد له 154

(وَهَٰذَا)القرآن العظيم و الذكر الحكيم(كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ)فيه الخير الكثير و العلم الغزير و هو الذى:-

1-تستمد منه سائر العلوم 2-و تستخرج منه البركات

*فما من خير إلا و قد دعا إليه و رغب فيه و ذكر الحكم و المصالح التى تحث عليه

*و ما من شر إلا و قد نهى عنه و حذر منه و ذكر الأسباب المنفرة عن فعله و عواقبها الوخيمة

(فَٱتَّبِعُوهُ)فيما يأمر به و ينهى و ابنوا أصول دينكم و فروعه عليه(وَٱتَّقُوا۟)الله تعالى أن تخالفوا له أمرا

(لَعَلَّكُمْ)إن اتبعتموه(تُرْحَمُونَ)فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علما و عملا 155

(أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ)أنزلنا إليكم هذا الكتاب المبارك قطعا لحجتكم و خشية أن تقولوا إنما أنزل

الكتاب(عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا)أى:-اليهود و النصارى.

*كقوله(وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)القصص: ٤٧

وَ مَا كُنَّا نَفْهَمُ مَا يَقُولُونَ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِلِسَانِنَا(وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ)قراءة كتبهم(لَغَٰفِلِينَ)فى شغل و غَفْلَةٍ و نحن ليس لنا بها علم و لا معرفة.

*أى: تقولون لَمْ تنزل علينا كتابا و الكتب التى أنزلتها على الطائفتين ليس لنا بها علم و لا معرفة فأنزلنا إليكم

كتابا لم ينزل من السماء كتاب أجمع و لا أوضح و لا أبين منه 156

(أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ)إما أن تعتذروا بـــ:-

1-عدم وصول أصل الهداية إليكم 2-و إما أن تعتذروا بـ عدم كمالها و تمامها

فحصل لكم بكتابكم أصل الهداية و كمالها

*كقوله (وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) فاطر: ٤٢

و لهذا قال:(فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)و هذا اسم جنس يدخل فيه كل ما يبين الحق للحلال و الحرام

(وَهُدًى)من الضلالة لما فى القلوب

(وَرَحْمَةٌ ۚ)من الله بعباده الذين يتبعونه و يقتفون ما فيه-أى:سعادة لكم فى دينكم و دنياكم

فهذا يوجب لكم الانقياد لأحكامه و الإيمان بأخباره و أن من لم يرفع به رأسا و كذب به فإنه أظلم الظالمين

و لهذا قال:(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ)أعرض و نأى بجانبه(عَنْهَا ۗ)

لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَ لَا اتَّبَعَ مَا أُرْسِلَ بِهِ وَ لَا تَرَكَ غَيْرَهُ بَلْ صَدَفَ عَنِ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ أَيْ:-

صَرَفَ النَّاسَ وَ صَدَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ

(سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ)يعرضون(عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ)الذى يسوء صاحبه و يشق عليه.

(بِمَا)بسبب ما(كَانُواْيَصۡدِفُونَ)يعرضون عن آياتنا و صدِّهم عن سبيلنا لأنفسهم و لغيرهم جزاء لهم على عملهم السيء (وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ)

و في هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم و أبركها و أوسعها و أنه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخرص المتكلمين و لا إلى أفكار المتفلسفين و لا لغير ذلك من علوم الأولين و الآخرين.

*و أن المعروف أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين مـن:-اليهود و النصارى

فهم أهل الكتاب عند الإطلاق لا يدخل فيهم سائر الطوائف لا المجوس و لا غيرهم.

و فيه: ما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن مـن :-

1-الجهل العظيم 2-و عدم العلم بما عند أهل الكتاب الذين عندهم مادة العلم و غفلتهم عن دراسة كتبهم

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾

(هَلۡ يَنظُرُونَ)هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم و عنادهم

(إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ)مقدمات العذاب و مقدمات الآخرة بأن تأتيهم

(ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)لقبض أرواحهم فإنهم إذا وصلوا إلى تلك الحال لم ينفعهم الإيمان و لا صالح الأعمال.

(أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ)لفصل القضاء بين العباد و مجازاة المحسنين و المسيئين

(أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ)الدالة على قرب الساعة.

(يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ)الخارقة للعادة التى يعلم بها أن الساعة قد دنت و أن القيامة قد اقتربت.

(لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ)

أى:إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن و لا المؤمنَ المقصر أن يزداد خيرُه بعد ذلك بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك و ما كان له من الخير المرجوّ قبل أن يأتى بعض الآيات.

و الحكمة فى هذا ظاهرة فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا:-1-كان إيمانا بالغيب 2-و كان اختيارا من العبد فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة و لم يبق للإيمان فائدة لأنه يشبه الإيمان الضرورى كإيمان الغريق و الحريق و نحوهما

ممن إذا رأى الموت أقلع عما هو فيه كما قال ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا كَسْبُ عَمَلٍ صَالِحٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَامِلًا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

*و قد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ:-أن المراد ببعض آيات الله طلوع الشمس من مغربها و أن الناس إذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم و يُغلق حينئذ بابُ التوبة.

و لما كان هذا وعيدا للمكذبين بالرسول ﷺ منتظرا و هم ينتظرون بالنبى ﷺ و أتباعه قوارع الدهر و مصائب الأمور

*البخارى 4635 عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ:
{لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام: 158]

*مسلم 158عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-
ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: -
1-طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا 2-وَ الدَّجَّالُ 3-وَ دَابَّةُ الْأَرْضِ "

*البخارى 7424 عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ
فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟»قَالَ:قُلْتُ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:-
فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَ كَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا:-ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا
ثُمَّ قَرَأَ:ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا "فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ(و هى قراءة شاذة و المتواترة{ لمستقر لها})

قال﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾فستعلمون أينا أحق بالأمن.

*تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لِلْكَافِرِينَ وَ وَعِيدٌ أَكِيدٌ لِمَنْ سَوَّف بِإِيمَانِهِ وَ تَوْبَتِهِ إِلَى وَقْتٍ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.
وَ إِنَّمَا كَانَ الْحُكْمُ هَذَا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا لِاقْتِرَابِ وَقْتِ الْقِيَامَةِ وَ ظُهُورِ أَشْرَاطِهَا
كَمَا قَالَ: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}[مُحَمَّدٍ:18]
وَ قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ84 فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}[غَافِرٍ]

و فى هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة و الجماعة:-

1-فى إثبات الأفعال الاختيارية لله كـــ:-الاستواء و النزول و الإتيان لله تبارك و تعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقين.و فى الكتاب و السنة من هذا شيء كثير

2-و فيه أن من جملة أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها

3-و أن الله تعالى حكيم قد جرت عادته و سنته أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختياريا لا اضطراريا كما تقدم.

4-و أن الإنسان يكتسب الخير بإيمانه فالطاعة و البر و التقوى إنما تنفع و تنمو إذا كان مع العبد الإيمان فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك158

تهديد بالموت و بيوم القيامة و ما يسبقه من علامات158-160

(إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا)نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى-"هُمْ أَصْحَابُ الْبِدَعِ"-
قيل:هُمُ الْخَوَارِجُ وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ فَارَقَ دِينَ اللَّهِ وَ كَانَ مُخَالِفًا لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ شَرْعُهُ وَاحِدٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَ لَا افْتِرَاقَ
فَمَنِ اخْتَلَفَ فِيهِ {وَكَانُوا شِيَعًا} أَيْ:-فِرَقًا كَأَهْلِ الْمِلَلِ وَ النِّحَلِ-وَ هِيَ الْأَهْوَاءُ وَ الضَّلَالَاتُ-فَاللَّهُ قَدْ بَرَّأَ رَسُولَهُ مِمَّا هُمْ فِيهِ.
وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشُّورَى:13]
وَ فِي الْحَدِيثِ: "نَحْنُ مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلات دِينُنَا وَاحِدٌ".
فَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَ هُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ:-
عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ التَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ الرَّسُولِ الْمُتَأَخِّرِ وَ مَا خَالَفَ ذَلِكَ فَضَلَالَاتٌ وَ جَهَالَاتٌ وَ آرَاءٌ وَ أَهْوَاءٌ الرُّسُلُ بُرَآء مِنْهَا كَمَا قَالَ:-{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}

*يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم أى: شتتوه و تفرقوا فيه و كلٌّ أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء التى لا تفيد الإنسان في دينه شيئا كاليهودية و النصرانية و المجوسية.

أو لا يكمل بها إيمانه بأن يأخذ من الشريعة شيئا و يجعله دينه و يدع مثله أو ما هو أولى منه كما هو حال أهل الفرقة من:-أهل البدع و الضلال و المفرقين للأمة.

و دلت الآية الكريمة:-

1-أن الدين يأمر بالاجتماع و الائتلاف

2-و ينهى عن التفرق و الاختلاف فى أهل الدين و فى سائر مسائله الأصولية و الفروعية.

*و أمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال:-(لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ)و ليسوا منك لأنهم خالفوك و عاندوك.

(إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ)يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم

*كقوله(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)الحج: ١٧

(ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ159)

ثم ذكر صفة الجزاء فقال:-(مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ)القولية و الفعلية الظاهرة و الباطنة المتعلقة بحق الله أو حق خلقه

(فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ)هذا أقل ما يكون من التضعيف

(وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا)و هذا من تمام عدله تعالى و إحسانه و أنه لا يظلم مثقال ذرة

و لهذا قال: (وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)

*البخارى6491 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ:-
«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ(فرض)الحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ(وضحها وكشف اللبس عنها وفصل حكمها)

فَمَنْ هَمَّ (قصد و حدث نفسه) بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً (أى لم تنقص بسبب الهم والقصد إلى فعلها)
فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ (مثل) إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ
وَ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا (الحسنة لعائق حال بينه وبين فعلها أو السيئة خوفا من الله عز وجل) كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً
فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»

*مسلم 2687 عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ أَزِيدُ (معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لابد منه بفضل الله ورحمته ووعده الذى لا يخلف والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئته سبحانه وتعالى) وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَ مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَ مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَ مَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً وَ مَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ (هو بضم القاف على المشهور و هو ما يقارب ملأها وحكى كسر القاف نقله القاضى وغيره) خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً "

*وَ اعْلَمْ أَنَّ تَارِكَ السَّيِّئَةِ الَّذِي لَا يَعْمَلُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:-

1- تَارَةً يَتْرُكُهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَذَا تَكْتُبُ لَهُ حَسَنَةٌ عَلَى كَفِّهِ عَنْهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَ هَذَا عَمَلٌ و نِيَّة؛ وَلِهَذَا جَاءَ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ حسنة كما جاء فى مسلم (129) عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:-إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا
فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً وَ هُوَ أَبْصَرُ بِهِ فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَ إِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ (من أجلى) وَ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:«إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَ كُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ»

2-وَ تَارَةً يَتْرُكُهَا نِسْيَانًا و ذُهولا عَنْهَا فَهَذَا لَا لَهُ وَ لَا عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْوِ خَيْرًا وَ لَا فَعَلَ شَرًّا.
3-وَ تَارَةً يَتْرُكُهَا عَجْزًا وَ كَسَلًا بَعْدَ السَّعْيِ فِي أَسْبَابِهَا وَ التَّلَبُّسِ بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهَا فَهَذَا يَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ فَاعِلِهَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ:إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَ الْمَقْتُولُ فِي النَّارِ".
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ160

(قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ)

*يأمر تعالى نبيه ﷺ أن يقول و يعلن بما هو عليه من الهداية (إِلَىٰ) الـ(صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ):-
الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة و الأعمال الصالحة و الأمر بكل حسن و النهى عن كل قبيح الذى عليه الأنبياء و المرسلون خصوصا إمام الحنفاء و والد من بعث من بعد موته من الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام و هو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم من أديان أهل الانحراف كـ(اليهود و النصارى و المشركين)

(دِينٗا قِيَمٗا) قائمًا ثابتًا (مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ) و هذا عموم
كَقَوْلِهِ {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}[البَقَرَة: 130]
وَ قَوْلُهُ {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ}[الْحَجِّ: 78]

*وَ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ ﷺأُمِرَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَكْمَلَ مِنْهُ فِيهَا لِأَنَّهُ ﷺقَامَ بِهَا قِيَامًا عَظِيمًا وَ أُكْمِلَتْ لَهُ إِكْمَالًا تَامًّا لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى هَذَا الْكَمَالِ
وَ لِهَذَا كَانَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَ صَاحِبَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَرْهَبُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام

*أحمد 15364-عَنْ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يَقُولُ:
أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺوَ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ 161 ثم خصص من ذلك أشرف العبادات فقال:-

(قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي)ذبحى و ذلك لشرف هاتين العبادتين و فضلهما و دلالتهما على محبة الله تعالى و إخلاص الدين له و التقرب إليه بالقلب و اللسان و الجوارح و بالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها و هو الله تعالى. و من أخلص فى صلاته و نسكه استلزم ذلك إخلاصه لله فى سائر أعماله.

يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَ يَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَ نُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه
وَ هَذَا كَقَوْلِهِ{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الْكَوْثَرِ: 2]أَيْ:-أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وَ ذَبِيحَتَكَ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَ يَذْبَحُونَ لَهَا

فَأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بِـــ :-
1-مخَالَفَتِهِمْ وَ الِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ 2-و الْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَ النِّيَّةِ وَ الْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى.

(وَمَحۡيَايَ)ما آتيه فى حياتى(وَمَمَاتِي)و ما أوصى به بعد وفاتى وهو حسن و يشهد له قوله تعالى (ونكتب ما قدموا و آثارهم)و ما يجريه الله علىَّ و ما يقدر علىَّ فى مماتى

الجميع (لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ)فى العبادة كما أنه ليس له شريك فى الملك و التدبير

و ليس هذا الإخلاص لله ابتداعا منى و بدعا أتيته من تلقاء نفسى162

بل (وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ)أمرا حتما لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله(وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ)من هذه الأمة.

*وَ هُوَ كَمَا قَالَ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كُلَّهُمْ كَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ أَصْلُهُ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا قَالَ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبِيَاءِ: 25]
وَ قَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ:-
{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يُونُسَ: 72]
وَ قَالَ تَعَالَى:{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [الْبَقَرَةِ: 130- 132]
وَ قَالَ يُوسُفُ عليه السلام{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يُوسُفَ: 101]

وَ قَالَ مُوسَى {يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [يُونُس: 84 -86]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ}[الْمَائِدَة: 44]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}[الْمَائِدَة: 111] .

فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ بَعَثَ رُسُلَهُ بِالْإِسْلَامِ وَ لَكِنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِيهِ بِحَسَبِ شَرَائِعِهِمِ الْخَاصَّةِ الَّتِي يَنْسَخُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى أَنْ نُسِخَتْ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺالَّتِي لَا تُنْسَخُ أَبَدَ الآبدين و لا تزال قَائِمَةً مَنْصُورَةً وَ أَعْلَامُهَا مَشْهُورَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ و لهذا قال النبىﷺ :-

*البخارى3443 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

"أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَ دِينُهُمْ وَاحِدٌ" فَإِنَّ أَوْلَادَ الْعِلَّاتِ هُمُ الْإِخْوَةُ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَ أُمَّهَاتٍ شَتَّى فَالدِّينُ وَاحِدٌ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِنْ تَنَوَّعَتِ الشَّرَائِعُ الَّتِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمَّهَاتِ كَمَا أَنَّ إِخْوَةَ الْأَخْيَافِ عَكْسُ هَذَا بَنُو الْأُمِّ الْوَاحِدَةِ مِنْ آبَاءٍ شَتَّى وَ الْإِخْوَةُ الْأَعْيَانُ الْأَشِقَّاءُ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَ أُمٍّ وَاحِدَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ 163

(قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ)من المخلوقين(أَبۡغِي رَبّٗا)يحسن ذلك و يليق بى أن أتخذ غيره مربيا و مدبرا و الله رب كل شيء

(وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ)فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته منقادون لأمره؟

فتعين علي و على غيرى أن يتخذ الله ربا و يرضى به و ألا يتعلق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين.

*ثم رغب و رهب بذكر الجزاء فقال:-(وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ)من خير و شر

(إِلَّا عَلَيۡهَاۚ)كما قال(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا)

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ)بل كل عليه وزر نفسه و إن كان أحد قد تسبب فى ضلال غيره و وزره فإن عليه وزر التسبب من غير أن ينقص من وزر المباشر شيء.

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ)يوم القيامة

(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ)فيه فى الدنيا من خير و شر و يجازيكم على ذلك أوفى الجزاء

*كقوله(قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ)سبأ 164

(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ)يخلف بعضكم بعضا و استخلفكم الله فى الأرض و سخَّر لكم جميع ما فيها و ابتلاكم لينظر كيف تعملون.

*كقوله(وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ)الزخرف: ٦٠(وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ)النمل: ٦٢

(وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ)فَـاوَتَ بَيْنَكُمْ فِي القوة و العافية و الرزق و الخَلْق و الخُلُق

و المحاسن و المساوى وَ الْمُنَاظِرِ وَ الْأَشْكَالِ وَ الْأَلْوَانِ وَ لَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ

كَقَوْلِهِ:{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا}[الزُّخْرُف: 32]

وَ قَوْلُهُ{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}[الإسراء: 21]

(لِّيَبۡلُوَكُمۡ)لِيَخْتَبِرَ كُمْ(فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ)الَّذِى أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ وَ امْتَحَنَكُمْ بِهِ فتفاوتت أعمالكم

لِيَخْتَبِرَ الْغَنِيَّ فِي غِنَاهُ :-وَ يَسْأَلُهُ عَنْ شُكْرِهِ وَ الْفَقِيرَ فِي فَقْرِهِ :-وَ يَسْأَلُهُ عَنْ صَبْرِهِ.

*مسلم2742 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ(يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين)وَ إِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا(أى جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته و شهواتكم)فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَ اتَّقُوا النِّسَاءَ(هكذا هو في جميع النسخ فاتقوا الدنيا ومعناه اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء و تدخل فى النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن)

فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

(إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ)لمن عصاه و كذّب بآياته

(وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ)لمن آمن به و عمل صالحا و تاب من الموبقات.

*كقوله(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)الرعد: ٦

*وَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى التَّرْغِيبِ وَ التَّرْهِيبِ فَتَارَةً يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَ التَّرْغِيبِ فِيمَا لَدَيْهِ وَ تَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ بِالرَّهْبَةِ وَ ذِكْرِ النَّارِ وَ أَنْكَالِهَا وَ عَذَابِهَا وَ الْقِيَامَةِ وَ أَهْوَالِهَا وَ تَارَةً بِهَذَا وَ بِهَذَا لِيَنْجع فِي كُلٍّ بحَسَبِه.

جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ أَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَ وَ تَرَكَ مَا عَنْهُ نَهَى و زَجَر وَ صَدَّقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعُ الدُّعَاءِ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَهَّابٌ.

*مسلم(2755)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-

«لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَ لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»

*مسلم (2752) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ:-الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الْبَهَائِمِ وَ الْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَ بِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَ بِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَ أَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»165

07-الأعراف-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ
إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ
ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مبينا له عظمة القرآن:-(الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ)أى:كتاب جليل حوى:-

1-كل ما يحتاج إليه العباد

2-و جميع المطالب الإلهية

3-و المقاصد الشرعية محكما مفصلا

خطاب للنبى و تحذير الأمة 1-9

(فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ)ضيق و شك و اشتباه(مِّنْهُ)بل لتعلم أنه تنزيل من حكيم حميد

(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) و أنه أصدق الكلام فلينشرح له صدرك

و لتطمئن به نفسك و لتصدع بأوامره و نواهيه و لا تخش لائما و معارضا

(لِتُنذِرَ بِهِۦ)الخلق فتعظهم و تذكرهم فتقوم الحجة على المعاندين.

(و)ليكون(وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)كما قال(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)

يتذكرون به:-

1-الصراط المستقيم

2-و أعماله الظاهرة و الباطنة

3-و ما يحول بين العبد و بين سلوكه 2

ثم خاطب اللّه العباد و ألفتهم إلى الكتاب فقال:-(ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم)الكتاب الذى أريد إنزاله لأجلكم

و هو:-(مِّن رَّبِّكُمْ)الذى يريد أن يتم تربيته لكم

فأنزل عليكم هذا الكتاب الذى إن اتبعتموه كملت تربيتكم و تمت عليكم النعمة و هُدِيتم لأحسن الأعمال و الأخلاق و معاليها

(وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ)أى:تتولونهم و تتبعون أهواءهم و تتركون لأجلها الحق.

(قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ)فلو تذكرتم و عرفتم المصلحة لما آثرتم:-1-الضار على النافع 2-و العدو على الوليِّ.

*كقوله(وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ) يوسف: ١٠٣ 3

ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم لئلا يشابهوهم فقال:-

(وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا)عذابنا الشديد (بَيَٰتًا)ليلا

(أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ)مِنَ الْقَيْلُولَةِ وَ هِىَ: الِاسْتِرَاحَةُ وَسَطَ النَّهَارِ. (ليست من القول)

وَ كِلَا الْوَقْتَيْنِ وَقْتُ غَفْلَة و لَهْو كَمَا قَالَ{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ97 أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ}[الْأَعْرَافِ] وَ قَالَ:{أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ45 أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ46 أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[النَّحْلِ]

*أى: فى حين غفلتهم و على غرتهم غافلون لم يخطر الهلاك على قلوبهم.

فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم و لا أغنت عنهم آلهتهم التى كانوا يرجونهم و لا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم و المعاصى 4

(فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ)

*كقوله(وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ)الأنبياء 5

(فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ)أى لنسألن الأمم الذين أرسل اللّٰه إليهم المرسلين عما أجابوا به رسلهم

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ)القصص:65

(وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)عن تبليغهم لرسالات ربهم و عما أجابتهم به أممهم .

(فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم)أى على الخلق كلهم ما عملوا

(بِعِلۡمٖۖ)منه تعالى لأعمالهم (وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ)فى وقت من الأوقات كما قال(أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ) المجادلة: ٦

و قال تعالى (وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ) المؤمنون: ١٧

*يُوضَعُ الْكِتَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَعْنِى:أَنَّهُ تَعَالَى يُخْبِرُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا قَالُوا وَ بِمَا عَمِلُوا مِنْ:-قَلِيلٍ وَ كَثِيرٍ وَ جَلِيلٍ و حَقِير لِأَنَّهُ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَ لَا يَغْفَلُ عَنْ

شَيْءٍ بَلْ هُوَ الْعَالِمُ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ{وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[الأَنْعَام 59] 7

*ثم ذكر الجزاء على الأعمال فقال:-

(وَٱلْوَزْنُ)للأعمال(يَوْمَئِذٍ)يوم القيامة(ٱلْحَقُّ)يكون بالعدل و القسط الذى لا جور فيه و لا ظلم بوجه.

(فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ)بأن رجحت كفة حسناته على سيئاته

(فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

الناجون من المكروه المدركون للمحبوب الذين حصل لهم الربح العظيم و السعادة الدائمة﴿٨﴾

(وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ)بأن رجحت سيئاته و صار الحكم لها

(فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم)إذ فاتهم النعيم المقيم و حصل لهم العذاب الأليم

(بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ)فلم ينقادوا لها كما يجب عليهم ذلك.كقوله

(وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ)[الأنبياء: ٤٧]

*الَّذِى يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلَ:-

1-الْأَعْمَالُ :-وَ إِنْ كَانَتْ أَعْرَاضًا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْلِبُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْسَامًا.

*مسلم (804) عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:
اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ(سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما) الْبَقَرَةَ وَ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ(قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرة وغيرهما قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتى كغمامتين)أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ (وفى الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف الفرقان والحزقان معناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة وقوله من طير صواف جمع صافة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها فى الهواء) تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا(تدافعان الجحيم والزبانية وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة)
اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَ تَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَ لَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ(لا يقدر على تحصيلها)»
قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِى أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ

2-محالها:-

*الترمذى 2639 عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ
فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ:
يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ
قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَ ثَقُلَتِ البِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ.وَ الْبِطَاقَةُ: الْقِطْعَةُ

3-فاعلها:-

*البخارى4729عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ:
إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَ قَالَ: اقْرَءُوا
{فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: 105]

*أحمد 3991 عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِى سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ وَ كَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-«مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ
فَقَالَ: «وَ الَّذِى نَفْسى بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»
وَ قَدْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ صَحِيحًا فَتَارَةً تُوزَنُ الْأَعْمَالُ وَ تَارَةً تُوزَنُ مَحَالُّهَا وَ تَارَةً يُوزَنُ فَاعِلُهَا وَ اللَّهُ أَعْلَمُ 9

قصة آدم و تعقيبات عليها 10-58

قصة آدم و ابليس 10-25

يقول تعالى ممتنا على عباده بذكر المسكن و المعيشة:-

(وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ)

أي: هيأناها لكم بحيث تتمكنون من البناء عليها و حرثها و وجوه الانتفاع بها

(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ)مما يخرج من الأشجار و النبات و معادن الأرض و أنواع الصنائع و التجارات فإنه هو الذى هيأها و سخر أسبابها.

(قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)اللّه الذي أنعم عليكم بأصناف النعم و صرف عنكم النقم.

كقوله(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)إبراهيم: ٣٤ (١٠)

يقول تعالى مخاطبا لبنى آدم:-

(وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ)بخلق أصلكم و مادتكم التى منها خرجتم: أبيكم آدم ﷺ

(ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ)فى أحسن صورة و أحسن تقويم و علمه الله تعالى ما به تكمل صورته الباطنة أسماء كل شيء.

(ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ)

ثم أمر الملائكة الكرام أن يسجدوا لآدم:-

1-إكراما و احتراما

2-و إظهارا لفضله فامتثلوا أمر ربهم

(فَسَجَدُوٓا)كلهم أجمعون

(إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ)أبى أن يسجد له:-1- تكبرا عليه 2-و إعجابا بنفسه (١١)

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾
قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا
وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا
لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

فوبخه اللّه على ذلك و قال: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)

لما خلقت بيديَّ أى:- شرفته و فضلته بهذه الفضيلة التى لم تكن لغيره فعصيت أمرى و تهاونت بى؟

كقوله (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) الحجر: ٢٩

*فَلِهَذَا أَبْلَسَ مِنَ الرَّحْمَةِ أَيْ: أَيِسَ مِنَ الرَّحْمَةِ فَأَخْطَأَ قَبَّحه اللَّهُ فِي قِيَاسِهِ وَ دَعْوَاهُ أَنَّ النَّارَ أَشْرَفُ مِنَ الطِّينِ أَيْضًا

(قَالَ)إبليس معارضا لربه:(أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ)ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة بقوله:(خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)

و موجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين لعلو النار على الطين و صعودها

و هذا القياس من أفسد الأقيسة فإنه باطل من عدة أوجه:-

1-أنه فى مقابلة أمر اللّه له بالسجود و القياس إذا عارض النص

فإنه قياس باطل لأن المقصود بالقياس أن يكون الحكم الذى لم يأت فيه نص يقارب الأمور المنصوص عليها و يكون تابعا لها.فأما قياس يعارضها و يلزم من اعتباره إلغاءُ النصوص فهذا القياس من أشنع الأقيسة.

2-أن قوله:(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) بمجردها كافية لنقص إبليس الخبيث.

فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه و تكبره و القول على اللّه بلا علم. و أى نقص أعظم من هذا؟

3-أنه كذب فى تفضيل مادة النار على مادة الطين و التراب

*فإن مادة الطين فيها:-1-الخشوع 2-و السكون 3-و الرزانة4-وَ الْحِلْمُ 5-وَ الْأَنَاةُ 6-وَ التَّثَبُّتُ

7-و منها تظهر بركات الأرض من الأشجار و أنواع النبات على اختلاف أجناسه و أنواعه

وَ الطِّينُ مَحَلُّ النُّمُوِّ وَ الزِّيَادَةِ وَ الْإِصْلَاحِ و البناء

*و أما النار ففيها :-

1-الخفة 2-و الطيش 3-و الإحراق4-السُّـــرْعَةُ

*و لهذا لما جرى من إبليس ما جرى انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين.

*وَ لِهَذَا خَانَ إِبْلِيسَ عُنْصُرُهُ وَ نَفَعَ آدَمَ عُنْصُرُهُ فِي:-
الرُّجُوعِ وَ الْإِنَابَةِ وَ الِاسْتِكَانَةِ وَ الِانْقِيَادِ وَ الِاسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ الِاعْتِرَافِ وَ طَلَبِ التَّوْبَةِ وَ الْمَغْفِرَةِ.

*مسلم(2996) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَ خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ (المارج اللهب المختلط بسواد النار)مِنْ نَارٍ وَ خُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» 12

فـــ(قَالَ)اللّه له(فَاهْبِطْ مِنْهَا)من الجنة

(فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا)لأنها دار الطيبين الطاهرين فلا تليق بأخبث خلق اللّه و أشرهم.

(فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)المهانين الأذلين جزاء على كبره و عجبه بالإهانة و الذل 13

(قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

فلما أعلن عدو اللّه بعداوة اللّه و عداوة آدم و ذريته سأل اللّهَ النَّظِرَةَ و الإمهال إلى يوم البعث ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بنى آدم14

*و لما كانت حكمة اللّه مقتضية لابتلاء العباد و اختبارهم ليتبين الصادق من الكاذب و من يطيعه ممن يطيع عدوه أجابه لما سأل فـــــ(قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) 15

(قَالَ)إبليس–لما أُبْلِسَ و أَيِسَ من رحمة اللّه–(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ)أي: للخلق

(صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)أي:لألزمن الصراط و لأسعى غاية جهدى على صد الناس عنه و عدم سلوكهم إياه﴿١٦﴾

(ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ)فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا بعث و لا جَنَّةَ وَ لَا نَارَ

(وَمِنْ خَلْفِهِمْ)مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فزيَّنها لَهُمْ وَ دَعَاهُمْ إِلَيْهَا

(وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ)مِنْ قِبَلِ حَسَنَاتِهِمْ بَطَّأهم عَنْهَا

(وَعَن شَمَائِلِهِمْ)زَيَّنَ لَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَ الْمَعَاصِيَ وَ دَعَاهُمْ إِلَيْهَا وَ أَمَرَهُمْ بِهَا. أَتَاكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِكَ مِنْ فَوْقِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ.

*أي:من جميع الجهات و الجوانب و من كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم.

*أبي داود 5074 عن ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ:لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِى وَ حِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِى دِينِى وَ دُنْيَاىَ وَ أَهْلِى وَ مَالِى

اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَ آمِنْ رَوْعَاتِي اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَ مِنْ خَلْفِي وَ عَنْ يَمِينِي وَ عَنْ شِمَالِي وَ مِنْ فَوْقِي وَ أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «قَالَ وَكِيعٌ يَعْنِي الْخَسْفَ»

*و لما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم و كان جازما ببذل مجهوده على إغوائهم ظن و صدّق ظنه فقال:-

(وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ)فإن القيام بالشكر من سلوك الصراط المستقيم و هو يريد صدهم عنه وعدم قيامهم به

قال تعالى:(إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) فاطر: ٦

*و إنما نبهنا اللّه على ما قال و عزم على فعله:-

1-لنأخذ منه حذرنا و نستعد لعدونا

2-و نحترز منه بعلمنا بالطريق التى يأتى منها و مداخله التى ينفذ منها فله تعالى علينا بذلك أكمل نعمة ﴿١٧﴾

(قَالَ)اللّه لإبليس لما قال ما قال:-(ٱخْرُجْ مِنْهَا)خروج صغار و احتقار لا خروج إكرام بل

(مَذْءُومًا)مذموما معيبا

(مَّدْحُورًا)مُبعدا عن اللّه و عن رحمته و عن كل خير.

(لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ)منك و ممن تبعك منهم

(أَجْمَعِينَ)و هذا قسم منه تعالى أن النار دار العصاة لابد أن يملأها من إبليس و أتباعه من الجن و الإنس.

*كقوله (قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا) الإسراء: ٦٣ ﴿١٨﴾

*ثم حذر آدم شره و فتنته فقال:-(وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا)

أمر اللّه تعالى آدم و زوجته حواء التى أنعم اللّه بها عليه ليسكن إليها أن يأكلا من الجنة حيث شاءا و يتمتعا فيها بما أرادا

(وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ)إلا أنه عيَّن لهما شجرة و نهاهما عن أكلها و اللّه أعلم ما هى و ليس فى تعيينها فائدة لنا

و حرم عليهما أكلها بدليل قوله:(فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) 19

(فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ)

*فلم يزالا ممتثلَيْن لأمر اللّه حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها و موه عليهما

(لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا)لتكون عاقبتهما انكشاف ما سُتر(مِن سَوْءَٰتِهِمَا)عوراتهما

(وَقَالَ)كذبا و افتراءً(مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ)

من جنس الملائكة(أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ)كما قال(يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) طه: ١٢٠ 20

(وَقَاسَمَهُمَآ)و مع قوله هذا أقسم لهما باللّه (ليست من القسمة)

(إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ)جملة(ٱلنَّٰصِحِينَ)حيث قلت لكما ما قلت فاغترا بذلك و غلبت الشهوة فى تلك الحال على العقل

*حَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَدَعَهُمَا وَ قَدْ يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَالَ:-
إِنِّى خُلقت قَبْلَكُمَا وَ أَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا فَاتَّبِعَانِى أُرْشِدْكُمَا.

وَ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ:-"مَنْ خَادَعَنَا بِاللَّهِ خُدعنا لَهُ"21

(فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ)فجرَّأهما و غرَّهما

أى:نزلهما عن رتبتهما العالية التى هى البعد عن الذنوب و المعاصى إلى التلوث بأوضارها فأقدما على أكلها.

(فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا)ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة فصار للعرى الباطن من التقوى في هذه الحال أثر فى اللباس الظاهر حتى انخلع فظهرت عوراتهما خَجِلا

(وَطَفِقَا)شرعا فى الفعل و استمرا فيه (يَخْصِفَانِ)يلزقان

(عَلَيْهِمَا)على عوراتهما(مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ)ليستترا بذلك كهيئة الثوب

(وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ)و هما بتلك الحال موبخا و معاتبا:–

(أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ)ظاهر العداوة؟

فلم اقترفتما المنهى و أطعتما عدوَّكُما؟

و فى هذه الآية دليل على:-

1-أن كشف العورة من عظائم الأمور

2-و أنه كان و لم يزل مستهجَنًا فى الطباع مستقبَحًا فى العقول22

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾
قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ
وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ
قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ
وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

*فحينئذ مَنَّ اللّه عليهما بالتوبة و قبولها فاعترفا بالذنب و سألا من اللّه مغفرته

ف(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا)فعلنا الذنب الذى نهيتنا عنه و أضررنا أنفسنا باقتراف الذنب و قد فعلنا سبب الخسار

(وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا)بمحو أثر الذنب و عقوبته(وَتَرْحَمْنَا)بقبول التوبة و المعافاة من أمثال هذه الخطايا.

فغفر اللّه لهما ذلك (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)

هذا و إبليس مستمر على طغيانه غير مقلع عن عصيانه

*فمن أَشْبه آدم بالاعتراف و سؤال المغفرة و الندم و الإقلاع—إذا صدرت منه الذنوب—اجتباه ربه و هداه.

*و من أَشْبه إبليس—إذا صدر منه الذنب لا يزال يزداد من المعاصى—فإنه لا يزداد من اللّه إلا بُعْدًا.

(لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)23

(قَالَ ٱهْبِطُوا۟)إلى الأرض(بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)حال كون بعضكم لبعض عدواً

إبليس و ذريته عدو لآدم و بنيه و آدم و بنوه عدو لإبليس و ذريته

(وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ)لما أهبط اللّه آدم و زوجته و ذريتهما إلى الأرض أخبرهما بحال إقامتهم فيها

يستقر عليها فالجاذبية الارضية تجعل الانسان مستقرا عليها بخلاف القمر

(وَمَتَٰعٌ)وَ أَعْمَارٌ مَضْرُوبَةٌ

(إِلَىٰ حِينٍ)آجَالٍ مَعْلُومَةٍ قَدْ جَرَى بِهَا الْقَلَمُ وَ أَحْصَاهَا الْقَدَرُ وَ سُطِّرَتْ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ﴿٢٤﴾

(قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ)

و أنه جعل لهم فيها حياة يتلوها الموت مشحونة بالامتحان و الابتلاء و أنهم لا يزالون فيها يرسل إليهم رسله

و ينزل عليهم كتبه حتى يأتيهم الموت فيدفنون فيها كقوله (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ) طه: ٥٥

(وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)ثم إذا استكملوا بعثهم اللّه وأخرجهم منها إلى الدار الحقيقيّة التى هى دار المقامة﴿٢٥﴾

*ثم امتن عليهم فقال(يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي)يستر(سَوْآتِكُمْ)عوراتكم و هو مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ

وَ (وَرِيشًا)هُوَ مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ ظَاهِرًا هو مِنَ التَّكَمُّلَاتِ وَ الزِّيَادَاتِ.

*و هكذا سائر الأشياء كالطعام و الشراب و المراكب و المناكح و نحوها قد يسر اللّه للعباد ضروريها و مكمل ذلك و بين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات و إنما أنزله اللّه ليكون معونة لهم على عبادته و طاعته

و لهذا قال:(وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ)الايمان–خشية الله-العمل الصالح

(ذَٰلِكَ خَيْرٌ)من اللباس الحسى فإن لباس التقوى يستمر مع العبد و لا يبلى و لا يبيد و هو جمال القلب و الروح

*و أما اللباس الظاهرى فغايته :–

1–أن يستر العورة الظاهرة فى وقت من الأوقات

2–أو يكون جمالا للإنسان و ليس وراء ذلك منه نفع.

و أيضا فبتقدير عدم هذا اللباس:–تنكشف عورته الظاهرة التى لا يضره كشفها مع الضرورة

و أما بتقدير عدم لباس التقوى:–فإنها تنكشف عورته الباطنة و ينال الخزى و الفضيحة.

(ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)أى:ذلك المذكور لكم من اللباس مما تذكرون به ما ينفعكم و يضركم

و تشبهون باللباس الظاهر على الباطن﴿٢٦﴾

تحذير بنى آدم من ابليس 26-27

*يقول تعالى محذرا لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم:–

(يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)بأن يزين لكم العصيان و يدعوكم إليه و يرغبكم فيه فتنقادون له

(كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ)و أنزلهما من المحل العالى إلى أنزل منه فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك

و لا يألو جهده عنكم حتى يفتنكم إن استطاع فعليكم:–

1–أن تجعلوا الحذر منه فى بالكم

2–و أن تلبسوا لأمَةَ الحرب بينكم و بينه

3–و أن لا تغفُوا عن المواضع التى يدخل منها إليكم.

(يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ)فــ(إِنَّهُۥ)يراقبكم على الدوام و (يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ)من شياطين الجن

(مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ)

فعدم الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان و الشيطان.

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)

*كَانَتِ الْعَرَبُ -مَا عَدَا قُرَيْشًا -لَا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي لَبِسُوهَا يَتَأَوَّلُونَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَطُوفُونَ فِي ثِيَابٍ عَصَوُا اللَّهَ فِيهَا وَ كَانَتْ قُرَيْشٌ –وَ هُمُ الحُمس -يَطُوفُونَ فِي ثِيَابِهِمْ

وَ مَنْ أَعَارَهُ أَحْمَسِيٌّ ثَوْبًا طَافَ فِيهِ وَ مِنْ مَعَهُ ثَوْبٌ جَدِيدٌ طَافَ فِيهِ ثُمَّ يُلْقِيهِ فَلَا يَتَمَلَّكُهُ أَحَدٌ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ثَوْبًا جَدِيدًا وَ لَا أَعَارَهُ أَحْمَسِيٌّ ثَوْبًا طَافَ عُرْيَانًا.

وَ رُبَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ فَتَطُوفُ عُرْيَانَةً كما ورد فى:-

*مسلم (3028)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَ هِىَ عُرْيَانَةٌ فَتَقُولُ:-مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟

(هو ثوب تلبسه المرأة تطوف به وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويرمون ثيابهم ويتركونها ملقاة على الأرض ولا يأخذونها أبدا ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى ويسمى اللقاء حتى جاء الإسلام فأمر الله تعالى بستر العورة فقال تعالى {خذوا زينتكم عند كل مسجد} وقال النبيﷺلا يطوف بالبيت عريان)

تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا وَ تَقُولُ:-الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ...فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}[الأعراف: 31]وَ أَكْثَرُ مَا كَانَ النِّسَاءُ يَطُفْنَ عُرَاةً بِاللَّيْلِ وَ كَانَ هَذَا شَيْئًا قَدِ ابْتَدَعُوهُ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ وَ اتَّبَعُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ وَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِعْلَ آبَائِهِمْ مُسْتَنِدٌ إِلَى أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ وَ شَرْعٍ فَأَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ

*كقوله(أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا)الكهف: ٥٠ ﴿٢٧﴾

*يقول تعالى مبينا لقبح حال المشركين الذين يفعلون الذنوب و ينسبون أن الله أمرهم بها

(وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ)و هى:كل ما يستفحش و يستقبح و من ذلك طوافهم بالبيت عراة

(قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا)و صدقوا فى هذا

رد على ضلال الكفار فى العقيدة 28-33

(وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ)و كذبوا فى هذا و لهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال:—

(قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ)

لا يليق بكماله و حكمته أن يأمر عباده بتعاطى الفواحش لا هذا الذى يفعله المشركون و لا غيره

*هَذَا الَّذِى تَصْنَعُونَهُ فَاحِشَةٌ مُنْكَرَةٌ وَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ

(أَتَقُولُونَ)أَتُسْنِدُونَ(عَلَى)إِلَى(ٱللَّهِ)مِنَ الْأَقْوَالِ(مَا لَا تَعۡلَمُونَ)صِحَّتَهُ و أى افتراء أعظم من هذا؟﴿٢٨﴾

*ثم ذكر ما يأمر به فــ(قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ)أى:بالعدل فى العبادات و المعاملات لا بالظلم و الجور.

(وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ)توجهوا لله و اجتهدوا فى تكميل العبادات خصوصا« الصلاة »أقيموها ظاهرا و باطنا و نَقُّوها من كل نقص و مفسد.

(وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ)قاصدين بذلك (لَهُ)أى وجهه وحده لا شريك له(ٱلدِّينَۚ)

و الدعاء يشمل:- 1-دعاء المسألة 2-و دعاء العبادة

أى:لا تراءوا و لا تقصدوا من الأغراض فى دعائكم سوى عبودية اللّه و رضاه.

(كَمَا بَدَأَكُمۡ)أول مرة(تَعُودُونَ)للبعث فالقادر على بدء خلقكم قادر على إعادته بل الإعادة أهون من البداءة.

و كما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

*البخارى 4625 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:-

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» ثُمَّ قَالَ:-

{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[الأنبياء: 104]إِلَى آخِرِ الآيَةِ ﴿٢٩﴾

(فَرِيقًا)منكم(هَدَىٰ)اللّه أى:وفقهم للهداية و يسر لهم أسبابها و صرف عنهم موانعها.

(وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ)أى: وجبت عليهم الضلالة بما تسببوا لأنفسهم و عملوا بأسباب الغواية.

*إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَدَأَ خَلْقَ ابْنِ آدَمَ مُؤْمِنًا وَ كَافِرًا كَمَا قَالَ{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}[التَّغَابُن: 2]

ثُمَّ يُعِيدُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا بَدَأَهُمْ مُؤْمِنًا وَ كَافِرًا.قُلْتُ: وَ يَتَأَيَّدُ هَذَا الْقَوْلُ بِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ

*البخارى3332 عن عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَ هُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ

«...فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ»

فــــــــــ(إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

فحين انسلخوا من ولاية الرحمن و استحبوا ولاية الشيطان حصل لهم النصيب الوافر من الخذلان

و وكلوا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران(وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)

(وَ)هم(وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ)لأنهم انقلبت عليهم الحقائق فظنوا الباطل حقا و الحق باطلا

و فى هذه الآيات دليل على:-

1-أن الأوامر و النواهى تابعة للحكمة و المصلحة حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه و تنكره العقول و أنه لا يأمر إلا بالعدل و الإخلاص

2-و فيه دليل على أن الهداية بفضل اللّه و مَنِّه و أن الضلالة بخذلانه للعبد إذا تولى-بجهله و ظلمه- الشيطانَ و تسبب لنفسه بالضلال و أن من حسب أنه مهتدٍ و هو ضالٌّ أنه لا عذر له لأنه متمكن من الهدى و إنما أتاه حسبانه من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى﴿٣٠﴾

۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى–بعد ما أنزل على بنى آدم لباسا يوارى سوءاتهم و ريشا:–

(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ)من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم و نظافة و طهارة و نحو ذلك فإن سترها زينة للبدن كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها.

*و يحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن

(عِندَ)أداء(كُلِّ مَسۡجِدٖ)عند الصلاة كلها على حالة فرضها و نفلها

*ففى هذا الأمر بستر العورة فى الصلاة و باستعمال التجميل فيها و نظافة السترة من الأدناس و الأنجاس.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:مسلم (3028) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ:-
كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَ هِيَ عُرْيَانَةٌ فَتَقُولُ:-مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا وَ تَقُولُ:-
الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ{خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}[الأعراف:31]
*وَ لِهَذِهِ الْآيَةِ وَ مَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنَ السُّنَّةِ يُسْتَحَبُّ التَّجَمُّلُ عِنْدَ الصَّلَاةِ وَ لَا سِيَّمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَ يَوْمَ الْعِيدِ وَ الطِّيبُ لِأَنَّهُ مِنَ الزِّينَةِ وَ السِّوَاكُ لِأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ وَمِنْ أَفْضَلِ الثِّيَابِ الْبَيَاضُ
*أبي داود 3878 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَ كَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ وَ إِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدُ:-
يَجْلُو الْبَصَرَ وَ يُنْبِتُ الشَّعْرَ "
*النسائى 1896–عَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-
«الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَ أَطْيَبُو كَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»

ثم قال:-(وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ)أى: مما رزقكم اللّه من الطيبات(وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ)فى ذلك و الإسراف إما:-

1-أن يكون بالزيادة على القدر الكافى و الشره فى المأكولات الذى يضر بالجسم

2-و إما أن يكون بزيادة الترفه و التنوق فى المآكل والمشارب و اللباس

3-و إما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

*قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:-جَمَعَ اللَّهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ:-{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا}

*أحمد 6695 عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺقَالَ:

«كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ تَصَدَّقُوا وَ الْبَسُوا غَيْرَ مَخِيلَةٍ وَ لَا سَرَفٍ»وَ قَالَ يَزِيدُ مَرَّةً:-«فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَ لَا مَخِيلَةٍ»

(إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ)فإن السرف يبغضه اللّه و يضر بدن الإنسان و معيشته

حتى إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات

*ففى هذه الآية الكريمة:-

1-الأمر بتناول الأكل و الشرب

2-و النهى عن تركهما و عن الإسراف فيهما.

*إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ حَدَّه فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ الْغَالِينَ فِيمَا أَحَلَّ أَوْ حَرّم بِإِحْلَالِ الْحَرَامِ وَ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَ لَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُحَلَّلَ مَا أَحَلَّ وَ يُحَرَّمَ مَا حَرَّمَ وَ ذَلِكَ الْعَدْلُ الَّذِى أَمَرَ بِهِ٣١

*يقول تعالى منكرا على من تعنت و حرم ما أحل اللّه من الطيبات

(قُلۡ)يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُونَ بِآرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَ ابْتِدَاعِهِمْ

(مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ)من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه

(وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ)من:-مأكل و مشرب بجميع أنواعه

أى:مَن هذا الذى يقدم على تحريم ما أنعم اللّه بها على العباد و من ذا الذى يضيق عليهم ما وسَّعه اللّه؟

و هذا التوسيع من اللّه لعباده بالطيبات جعله لهم ليستعينوا به على عبادته فلم يبحه إلا لعباده المؤمنين

و لهذا قال:-(قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ)لهم(يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)أى: لا تبعة عليهم فيها.

*و مفهوم الآية أن من لم يؤمن باللّه بل استعان بها على معاصيه فإنها غير خالصة له و لا مباحة بل يعاقب عليها و على التنعم بها و يُسأل عن النعيم يوم القيامة.

*هِيَ مَخْلُوقَةٌ لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ عَبَدَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ إِنْ شَرَكَهُمْ فِيهَا الْكُفَّارُ حِسًّا فِي الدُّنْيَا فَهِيَ لَهُمْ خَاصَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَشْرَكهم فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْكُفَّارِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.

(كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ)نوضح و نبين(ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ)

لأنهم الذين ينتفعون بما فصله اللّه من الآيات و يعلمون أنها من عند اللّه فيعقلونها و يفهمونها.

*البخارى 7403 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ وَ مَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللَّهِ»﴿٣٢﴾

*ثم ذكر المحرمات التى حرمها اللّه في كل شريعة من الشرائع فقال:-﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾

أي: الذنوب الكبار التى تستفحش و تستقبح لشناعتها و قبحهاو ذلك كالزنا و اللواط و نحوهما.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾الفواحش التى تتعلق بحركات البدن ﴿وَمَا بَطَنَ﴾و التى تتعلق بحركات القلوب كـ:-

الكبر و العجب و الرياء و النفاق و نحو ذلك

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾الذنوب التى تؤثم و توجب العقوبة فى حقوق اللّه و حَاصِلُ مَا فُسّر بِهِ الْإِثْمُ أَنَّهُ الْخَطَايَا الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْفَاعِلِ نَفْسِهِ

﴿وَٱلْبَغْيَ﴾التَّعَدِّى إِلَى النَّاسِ فى دمائهم و أموالهم و أعراضهم﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾

فدخل فى هذا الذنوبُ المتعلقةُ بحق اللّه و المتعلقةُ بحق العباد.

﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾أى:حجة

*بل أنزل الحجة و البرهان على التوحيد. و الشركُ هو أن يشرك مع اللّه فى عبادته أحد من الخلق

*و ربما دخل فى هذا الشرك الأصغر كالرياء و الحلف بغير اللّه و نحو ذلك.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾فى أسمائه و صفاته و أفعاله و شرعه

فكل هذه قد حرمها اللّه و نهى العباد عن تعاطيها:-

1-لما فيها من المفاسد الخاصة و العامة

2-و لما فيها من الظلم و التجرى على اللّه و الاستطالة على عباد اللّه و تغيير دين اللّه و شرعه.

*كقوله﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾الحج: ٣٠

و قد أخرج اللّه بنى آدم إلى الأرض و أسكنهم فيها﴿٣٣﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾قرن و جيل و جماعة من الأمم اجتمعت على الكفر بالله تعالى و تكذيب رسله

جعل الله لهم ﴿أَجَلٌ﴾وقت لحلول العقوبة بهم﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾الوقت الذى وقَّته الله لإهلاكهم

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾يتأخرون عنه﴿سَاعَةً﴾لا تتقدم أمة

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾يتقدمون عليه لا الأمم المجتمعة و لا أفرادها﴿٣٤﴾

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾

لما أخرج اللّه بنى آدم من الجنة ابتلاهم بإرسال الرسل و إنزال الكتب عليهم يقصون عليهم آيات اللّه و يبينون لهم أحكامه

*ثم ذكر فضل من استجاب لهم و خسار من لم يستجب لهم فقال:–

الإيمان بالرسل و حال الكفار معهم 34-39

(فَمَنِ ٱتَّقَىٰ)ما حرم اللّه من الشرك و الكبائر و الصغائر

(وَأَصۡلَحَ)أعماله الظاهرة و الباطنة

(فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ)من الشر الذى قد يخافه غيرهم

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)على ما مضى و إذا انتفى الخوف و الحزن حصل:–الأمن التام و السعادة و الفلاح الأبدى﴿٣٥﴾

(وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ)أى: لا آمنت بها قلوبهم و لا انقادت لها جوارحهم

(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)كما استهانوا بآياته و لازموا التكذيب بها أهينوا بالعذاب الدائم ﴿٣٦﴾

(فَمَنۡ أَظۡلَمُ)لا أحد أظلم(مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)بنسبة الشريك له أو النقص له أو التقول عليه ما لم يقل

(أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ)الواضحة المبينة للحق المبين الهادية إلى الصراط المستقيم

(أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ)فهؤلاء و إن تمتعوا بالدنيا و نالهم(نَصِيبُهُم)حظُّهم من العذاب عمله و رزقه و عمره

(مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ)

مما كان مكتوبا لهم فى اللوح المحفوظ فليس ذلك بمغن عنهم شيئا يتمتعون قليلا ثم يعذبون طويلا

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا)الملائكة الموكلون (يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ)بقبض أرواحهم و استيفاء آجالهم.

(قَالُوٓاْ)لهم فى تلك الحالة توبيخا و عتابا

(أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ)

من الأصنام و الأوثان فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضرة

(قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا)اضمحلوا و بطلوا و ليسوا مغنين عنا من عذاب اللّه من شيء-ذهبوا عنا

(وَشَهِدُواْ)اعترفوا(عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)حينئذ(أَنَّهُمۡ كَانُواْ)فى الدنيا(كَٰفِرِينَ)جاحدين مكذبين وحدانية الله مستحقين للعذاب المهين الدائم﴿٣٧﴾

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(قَالَ)الله تعالى -لهؤلاء المشركين المفترين(ٱدۡخُلُواْ فِيٓ)جملة (أُمَمٖ)مِنْ أَشْكَالِكُمْ وَ عَلَى صِفَاتِكُمْ

(قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ)أى:مضوا على ما مضيتم عليه من الكفر و الاستكبار

فاستحق الجميع الخزى و البوار(كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ)من الأمم العاتية النار (لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ)كقوله

(ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ) العنكبوت: ٢٥

(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا)اجتمع فى النار جميع أهلها من:-

الأولين و الآخرين و القادة و الرؤساء و المقلدين الأتباع

(قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ)متأخروهم المتبعون للرؤساء (لِأُولَىٰهُمۡ)أى:لرؤسائهم شاكين إلى اللّه إضلالهم إياهم:-

(رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ)أى:عذبهم عذابا مضاعفا لأنهم:-

1-أضلونا 2-و زينوا لنا الأعمال الخبيثة

كقوله(ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ) النحل: ٨٨

(وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ) العنكبوت: ١٣

(قَالَ)اللّه(لِكُلّٖ)منكم(ضِعۡفٞ)و نصيب من العذاب(وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ)38

(وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ)الرؤساء قالوا(لِأُخۡرَىٰهُمۡ)لأتباعهم:-(فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ)

قد اشتركنا جميعا فى الغى و الضلال و فى فعل أسباب العذاب فأىّ فضل لكم علينا؟

(فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ)

*و لكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء و أئمة الضلال أبلغ و أشنع من عذاب الأتباع كما أن نعيم أئمة الهدى و رؤسائه أعظم من ثواب الأتباع

قال تعالى:-(ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ) النحل: ٨٨

*كقوله(وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ) سبأ

*فهذه الآيات و نحوها دلت على:-

1-أن سائر أنواع المكذبين بآيات اللّه مخلدون فى العذاب مشتركون فيه و فى أصله و إن كانوا متفاوتين فى مقداره بحسب:-أعمالهم و عنادهم و ظلمهم و افترائهم

2-و أن مودتهم التى كانت بينهم فى الدنيا تنقلب يوم القيامة:-عداوة و ملاعنة 29

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا)يخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته فلم يؤمن بها مع أنها آيات بينات

جزاء الكافرين و ثواب المؤمنين يوم القيامة 40-43

(وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا)و استكبر عنها فلم:-

1-ينْقَد لأحكامها 2-بل كذب و تولى أنهم آيسون من كل خير

(لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ)لأرواحهم إذا ماتوا و صعدت تريد العروج إلى اللّه فتستأذن فلا يؤذن لها كما لم تصعد فى الدنيا إلى الإيمان باللّه و معرفته و محبته

*كذلك لا تصعد بعد الموت فإن الجزاء من جنس العمل.

*ابن ماجه قال النبىﷺ تقول ملائكة العذاب(اخْرُجِى أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِى الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِى ذَمِيمَةً وَ أَبْشِرِى بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يُفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ:-مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ فَيُقَالُ:-
لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِى الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ارْجِعِى ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ)

و مفهوم الآية:-أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر اللّه المصدقين بآياته:-

1-تفتح لها أبواب السماء حتى تعرج إلى اللّه

2-و تصل إلى حيث أراد اللّه من العالم العلوى

3-و تبتهج بالقرب من ربها و الحظوة برضوانه.

*و قوله عن أهل النار(وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ)و هو البعير المعروف(فِى سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ)

أى: حتى يدخل البعير الذى هو من أكبر الحيوانات جسما فى خَرْق الإبرة الذى هو من أضيق الأشياء

و هذا من باب تعليق الشىء بالمحال

*أى: فكما أنه محال دخول الجمل فى سم الخياط فكذلك المكذبون بآيات اللّه محال دخولهم الجنة

قال تعالى: (إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) المائدة: ٧٢

و قال هنا (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ)أى:الذين كثر إجرامهم و اشتد طغيانهم﴿٤٠﴾

(لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ)أى:فراش من تحتهم(وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ)أى:ظلل من العذاب تغشاهم-اللحف.

(وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ)لأنفسهم جزاء وفاقا قال الله تعالى (وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ)﴿٤١﴾

*لما ذكر الله تعالى عقاب العاصين الظالمين ذكر ثواب المطيعين فقال:-(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)بقلوبهم

(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)بجوارحهم فجمعوا بين:-الإيمان و العمل بين:-الأعمال الظاهرة و الأعمال الباطنة

بين:-فعل الواجبات و ترك المحرمات

*و لما كان قوله: (وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)لفظا عاما يشمل جميع الصالحات الواجبة و المستحبة

*و قد يكون بعضها غير مقدور للعبد قال تعالى:-

(لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ)بمقدار ما تسعه طاقتها و لا يعسر على قدرتها فعليها فى هذه الحال أن تتقى اللّه بحسب استطاعتها

*و إذا عجزت عن بعض الواجبات التى يقدر عليها غيرها سقطت عنها كما قال تعالى:(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

*فلا واجب مع العجز و لا محرم مع الضرورة

(أُو۟لَٰٓئِكَ)المتصفون بالإيمان و العمل الصالح

(أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)لا يحولون عنها و لا يبغون بها بدلا

لأنهم يرون فيها من أنواع اللذات و أصناف المشتهيات ما تقف عنده الغايات و لا يطلب أعلى منه﴿٤٢﴾

(وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ)حقد و ضغائن

*و هذا من كرمه و إحسانه على أهل الجنة أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم و التنافس الذي بينهم أن اللّه يقلعه و يزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين و أخلاء متصافين.

قال تعالى(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)و يخلق اللّه لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة و السرور و يرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم.

*فبهذا يأمنون من التحاسد و التباغض لأنه قد فقدت أسبابه.

*البخارى 2440 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ:-

إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا(أوقفوا)بِقَنْطَرَةٍ(كل شىء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه) بَيْنَ الجَنَّةِ وَ النَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ(من القصاص والمعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض)مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَ هُذِّبُوا(خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص) أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ فَوَ الَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ(أكثر دلالة وأعرف) بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا

(تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ)أى: يفجرونها تفجيرا حيث شاءوا و أين أرادوا إن شاءوا فى خلال القصور أو في تلك الغرف العاليات أو فى رياض الجنات من تحت تلك الحدائق الزاهرات.

أنهار تجرى في غير أخدود و خيرات ليس لها حد محدود

(وَ) لهذا لما رأوا ما أنعم اللّه عليهم و أكرمهم به(وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا)بـأن:-

1-مـنَّ علينا و أوحى إلى قلوبنا فآمنت به

2-و انقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار

3-و حـفظ اللّه علينا إيماننا و أعمالنا حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار فنعم الرب الكريم الذى:-

1-ابتدأنا بالنعم 2-و أسدى من النعم الظاهرة و الباطنة ما لا يحصيه المحصون و لا يعده العادون

(وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ)أى: ليس فى نفوسنا قابلية للهدى(لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ)أنه تعالى منَّ بهدايته و اتباع رسله.

(لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ)

أى:حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي أخبرت به الرسل و صار حق يقين لهم بعد أن كان علم يقين لهم قالوا لقد تحققنا و رأينا ما وعدتنا به الرسل و أن جميع ما جاءوا به حق اليقين لا مرية فيه و لا إشكال

(وَنُودُوٓاْ)تهنئة لهم و إكراما و تحية و احتراما

(أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا)كنتم الوارثين لها و صارت إقطاعا لكم إذ كان إقطاع الكفار النار

(بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)بالأعمال الصالحة و هى من رحمته

*قال بعض السلف: أهل الجنة نجوا من النار بعفو اللّه و أدخلوا الجنة برحمة اللّه و اقتسموا المنازل و ورثوها بالأعمال الصالحة و هى من رحمته بل من أعلى أنواع رحمته.

*البخارى 6463 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا:- وَ لاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«وَ لاَ أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَ قَارِبُوا وَ اغْدُوا(من الغدو وهو السير أول النهار)وَ رُوحُوا (من الرواح وهو السير في النصف الثاني من النهار)وَ شَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ (السير آخر الليل)وَ القَصْدَ(الزموا الوسط المعتدل في الأمور) القَصْدَ تَبْلُغُوا»(مقصدكم و بغيتكم)﴿٤٣﴾

قامَ من مَرَضِهِ لسماع آية! الأعراف: ٤١

وروى ابن أبي الدنيا من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت عبد الله بن حنظلة يومًا وهو على فراشه وعُدْتُهُ من عِلته، فتلا رجلٌ عنده هذه الآية: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[٢]؛ فبكى حتى ظننت أن نفسَهُ ستخرجُ، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن! اقعد، قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم؛ ولَعَلِّي أحدهم[٣].

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ)يُخْبِرُ تَعَالَى بِمَا يُخَاطِبُ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ إِذَا اسْتَقَرُّوا فِي مَنَازِلِهِمْ وَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ:-{أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا}
أَنْ" هَاهُنَا مفسِّرة لِلْقَوْلِ الْمَحْذُوفِ وَ"قَدْ" لِلتَّحْقِيقِ أَيْ: قَالُوا لَهُمْ:-
{قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ}كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الَّذِي كَانَ لَهُ قَرِينٌ مِنَ الْكُفَّارِ:{فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ55 قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ56 وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ57 أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ 58 إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}(الصَّافَّات)
أَيْ:يُنْكِرُ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ الَّتِي يَقُولُهَا فِي الدُّنْيَا وَ يُقَرِّعُهُ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ وَ كَذَا تُقَرِّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ لَهُمْ:{هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ14 أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ15 اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[الطُّور]

محاورة بين أصحاب الجنة و النار و الأعراف 44-51

*وَ كَذَلِكَ قَرَّعَ رسولُ اللَّهِ ﷺقَتْلَى الْقَلِيبِ يَوْمَ بَدْرٍ
*مسلم (2874) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»
فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:-يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَ أَنَّى يُجِيبُوا وَ قَدْ جَيَّفُوا؟
(هكذا هو في عامة النسخ المعتمدة كيف يسمعوا وأنى يجيبوا من غير نون وهي لغة صحيحة وإن كانت قليلة الاستعمال وسبق بيانها مرات وقوله جيفوا أي أنتنوا وصاروا جيفا يقال جيف الميت وجاف وأجاف وأروح وأنتن بمعنى (فسحبوا فألقوا في قليب بدر))
قَالَ: «وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَ لَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا»
ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ(و في الرواية الأخرى في طوى من أطواء بدر والقليب والطوى بمعنى وهى البئر المطوية بالحجارة قال أصحابنا وهذا السحب إلى الكليب ليس دفنا لهم ولا صيانة وحرمة بل لدفع رائحتهم المؤذية)

*يقول تعالى لما ذكر استقرار كل من الفريقين فى الدارين و وجدوا ما أخبرت به الرسل و نطقت به الكتب من الثواب و العقاب:-أن أهل الجنة نادوا أصحاب النار بأن قالوا:-

(أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا)حين وعدنا على الإيمان و العمل الصالح:-الجنة فأدخلناها و أرانا ما وصفه لنا

(فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ)على الكفر و المعاصى

(حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ)قد وجدناه حقا فبين للخلق كلهم بيانا لا شك فيه صدق وعد اللّه(وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا) النساء: 122 و ذهبت عنهم الشكوك و الشبه و صار الأمر حق اليقين و فرح المؤمنون بوعد اللّه و اغتبطوا و أيس الكفار من الخير و أقروا على أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب.

(فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ)أى:-بين أهل النار و أهل الجنة بأن قال:-(أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ)بُعْدُه و إقصاؤه عن كل خير

(عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ)إذ فتح اللّه لهم أبواب رحمته44

(ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)فصدفوا(صدَف عن المَوضوع:-أعرض عنه ومال وانصرف)أنفسهم عنها ظلما و صدوا عن سبيل اللّه بأنفسهم و صدوا غيرهم فضلوا و أضلوا.

و اللّه يريد أن تكون مستقيمة و يعتدل سير السالكين إليه(و)هؤلاء(وَيَبۡغُونَهَا)يريدونها(عِوَجٗا)منحرفة صادة عن سواء السبيل(وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ)

هذا الذى أوجب لهم الانحراف عن الصراط و الإقبال على شهوات النفوس المحرمة:-

1-عدم إيمانهم بالبعث

2-و عدم خوفهم من العقاب و رجائهم للثواب

و مفهوم هذا النداء أن رحمة اللّه على المؤمنين و برَّه شامل لهم و إحسانَه متواتر عليهم45

(وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ)يقال له:-(ٱلۡأَعۡرَافِ)جَمْعُ "عُرْف"وَ كُلُّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ الْعَرَبِ يُسَمَّى"عُرْفًا"وَ إِنَّمَا قِيلَ لِعُرْفِ الدِّيكِ عُرْفًا لِارْتِفَاعِهِ.لا من الجنة و لا من النار يشرف على الدارين و ينظر مِنْ عليه حالُ الفريقين قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:وَ هُوَ السُّورُ الَّذِى قَالَ اللَّهُ{فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}[الْحَدِيدِ:13]وَ هُوَ الْأَعْرَافُ الَّذِى قَالَ اللَّهُ{وَعَلَى الأعْرَافِ رِجَالٌ}

(وَعَلَى)هذا الحجاب(رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا)من أهل الجنة و النار(بِسِيمَىٰهُمۡۚ)علاماتهم التى بها يعرفون و يميزون يَعْرِفُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِبَيَاضِ الْوُجُوهِ وَ أَهْلَ النَّارِ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ.

*فإذا نظروا إلى أهل الجنة نَادَوْهم(أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ)يحيونهم و يسلمون عليهم

(لَمۡ يَدۡخُلُوهَا)و هم -إلى الآن-لم يدخلوا الجنة(وَهُمۡ)و لكنهم(يَطۡمَعُونَ)فى دخولها

و لم يجعل اللّه الطمع فى قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته46

(وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ)و رأوا منظرا شنيعا و هَوْلا فظيعا

(قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)

فأهل الجنة إذا رآهم أهل الأعراف يطمعون أن يكونوا معهم فى الجنة و يحيونهم و يسلمون عليهم

و عند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار يستجيرون باللّه من حالهم هذا على وجه العموم47

*ثم ذكر الخصوص بعد العموم فقال:–(وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ)بعلاماتهم

و هم من أهل النار و قد كانوا فى الدنيا لهم أبهة و شرف و أموال و أولاد

(قَالُواْ)لهم أصحاب الأعراف حين رأوهم منفردين فى العذاب بلا ناصر و لا مغيث:–

(مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ)كثرتكم فى الدنيا الذى تستدفعون به المكاره و تتوسلون به إلى مطالبكم فى الدنيا فاليوم اضمحل و لا أغنى عنكم شيئا

(وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)و كذلك أى شيء نفعكم استكباركم على الحق و على من جاء به و على من اتبعه.

ثم أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا فى الدنيا فقراء ضعفاء يُسْتهزئ بهم أهل النار 48

فقالوا لأهل النار:–(أَهَٰٓؤُلَآءِ)الذين أدخلهم اللّه الجنة

(ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ)احتقارا لهم و ازدراء و إعجابا بأنفسكم قد حنثتم فى أيمانكم و بدا لكم من اللّه ما لم يكن لكم في حساب

(ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ)بما كنتم تعملون أي: قيل لهؤلاء الضعفاء إكراما و احتراما:–ادخلوا الجنة بأعمالكم الصالحة

(لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ)فيما يستقبل من المكاره(وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ)على ما مضى بل آمنون مطمئنون فرحون بكل خير

و هذا كقوله تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)المطففين

و اختلف أهل العلم و المفسرون من هم أصحاب الأعراف و ما أعمالهم؟

*و الصحيح من ذلك أنهم قوم:–تساوت حسناتهم و سيئاتهم فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار و لا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة فصاروا فى الأعراف ما شاء اللّه

ثم إن اللّه تعالى يدخلهم برحمته الجنة فإن رحمته تسبق و تغلب غضبه و رحمته وسعت كل شيء49

(وَنَادَىٰٓ)ينادى(أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ)حين يبلغ منهم العذاب كل مبلغ و حين يمسهم الجوع المفرط

و الظمأ الموجع يستغيثون بهم فيقولون:–

(أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ)من الطعام فأجابهم أهل الجنة

(قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا)أى:ماء الجنة و طعامها(عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)و ذلك جزاء لهم على كفرهم بآيات اللّه﴿٥٠﴾

(ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ)و اتخاذهم دينهم الذى أمروا أن يستقيموا عليه و وعدوا بالجزاء الجزيل عليه.

(لَهۡوٗا)أى:–لهت قلوبهم و أعرضت عنه

(وَلَعِبٗا)و لعبوا و اتخذوه سخريا أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو و اللعب و استعاضوا بذلك عن الدين القيم.

(وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ)بزينتها و زخرفها و كثرة دعاتها فاطمأنوا إليها و رضوا بها و فرحوا و أعرضوا عن الآخرة و نسوها.

(فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ)نتركهم فى العذاب كقوله(قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) طه: ٥٢
نُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ نسيهم لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَشِذُّ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ وَ لَا يَنْسَاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-
{فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}[طه:52]وَ إِنَّمَا قَالَ تَعَالَى هَذَا مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ كَمَا قَالَ:{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}[التَّوْبَةِ:67]
وَ قَالَ:{كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}[طه:126] وَ{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}
[الْجَاثِيَةِ:34]

(كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا)فكأنهم لم يخلقوا إلا للدنيا و ليس أمامهم عرض و لا جزاء.

(وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ)و الحال أن جحودهم هذا لا عن قصور فى آيات اللّه و بيناته.

*مسلم (2968) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟»
قَالُوا: لَا قَالَ:«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا قَالَ:
فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا
قَالَ:فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ:أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَ أُسَوِّدْكَ وَ أُزَوِّجْكَ وَ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ
وَ أَذَرْكَ تَرْأَسُ و تَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ:-بَلَى قَالَ: فَيَقُولُ:أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا فَيَقُولُ:-
فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَ أُسَوِّدْكَ وَ أُزَوِّجْكَ
وَ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَ الْإِبِلَ وَ أَذَرْكَ تَرْأَسُ وَ تَرْبَعُ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟
فَيَقُولُ: لَا فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي﴿٥١﴾

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

بل(وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ)بينا فيه جميع المطالب التى يحتاج إليها الخلق كما قَالَ{أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ}[النِّسَاء:166]

(عَلَىٰ عِلْمٍ)من اللّه بأحوال العباد فى كل زمان و مكان و ما يصلح لهم و ما لا يصلح ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور فتجهله بعض الأحوال فيحكم حكما غير مناسب

اقامة الحجة على الكفار و دلائل قدرة الله 52-56

بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء و وسعت رحمته كل شيء

كما قَالَ{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هُود:1]

(هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)أى:تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال و بيان الحق و الباطل و الغيّ و الرشد و يحصل أيضا لهم به الرحمة و هى:–الخير و السعادة فى الدنيا و الآخرة

فينتفى عنهم بذلك الضلال و الشقاء.

*و هؤلاء الذين حق عليهم العذاب لم يؤمنوا بهذا الكتاب العظيم و لا انقادوا لأوامره و نواهيه فلم يبق فيهم حيلة إلا استحقاقهم أن يحل بهم ما أخبر به القرآن. و لهذا قال:–

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ)أى:وقوع ما أخبر به كما قال يوسف عليه السلام حين وقعت رؤياه:–(هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ)يوسف ١٠٠

(ما وُعدوا به فى القرآن و ما يؤول اليه أمرهم من جنة أو نار .ليس معناها تفسيره)

(يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ)يوم القيامة(يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ)تركوا العمل به و تناسوه في الدنيا

متندمين متأسفين على ما مضى منهم متشفعين في مغفرة ذنوبهم. مقرين بما أخبرت به الرسل: –

(قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ)إلى الدنيا

(فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ)و قد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا(فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ)المدثر: ٤٨

و سؤالهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم كذب منهم مقصودهم به دفع ما حل بهم

قال تعالى: (وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) الأنعام: ٢٨

(وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ أَنفُسَهُمْ)حين فوتوها الأرباح و سلكوا بها سبيل الهلاك و ليس ذلك كخسران الأموال و الأثاث أو الأولاد إنما هذا خسران لا جبران لمصابه

(وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ)يعبدونهم من دون الله فى الدنيا مما تمنيهم أنفسهم به و يعدهم به الشيطان قدموا على ما لم يكن لهم فى حساب و تبين لهم باطلهم و ضلالهم و صدق ما جاءتهم به الرسل53

*يقول تعالى مبينا أنه الرب المعبود وحده لا شريك له:-(إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) و ما فيهما على عظمهما و سعتهما و إحكامهما و إتقانهما و بديع خلقهما.

(فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ)أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

*فَأَمَّا يَوْمُ السَّبْتَ فَلَمْ يَقَعْ فِيهِ خَلْقٌ لِأَنَّهُ الْيَوْمُ السَّابِعُ وَ مِنْهُ سُمِّيَ السَّبْتُ وَ هُوَ الْقَطْعُ.

*فلما قضاهما و أودع فيهما من أمره ما أودع(ٱسْتَوَىٰ)علا(عَلَى ٱلْعَرْشِ)العظيم الذى يسع السماوات و الأرض و ما فيهما و ما بينهما استوى استواء يليق بجلاله و عظمته و سلطانه فاستوى على العرش و احتوى على الملك و دبر الممالك و أجرى عليهم أحكامه الكونية و أحكامه الدينية و لهذا قال:-

(يُغْشِى ٱلَّيْلَ)المظلم(ٱلنَّهَارَ)المضيء فيظلم ما على وجه الأرض و يسكن الآدميون و تأوى المخلوقات إلى مساكنها و يستريحون من التعب و الذهاب و الإياب الذى حصل لهم في النهار.

(يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا)كلما جاء الليل ذهب النهار و كلما جاء النهار ذهب الليل و هكذا أبدا على الدوام حتى يطوى اللّه هذا العالم و ينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار.

(وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ)بتسخيره و تدبيره الدال على ما له من أوصاف الكمال فخلْقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته و ما فيها من الإحكام و الانتظام و الإتقان دال على كمال حكمته و ما فيها من المنافع والمصالح الضرورية و ما دونها دال على سعة رحمته و ذلك دال على سعة علمه و أنه الإله الحق الذى لا تنبغى العبادة إلا له.

(أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ)الذى صدرت عنه جميع المخلوقات علويها و سفليها أعيانها و أوصافها و أفعالها

فالخلق:-يتضمن أحكامه الكونية القدرية

(وَٱلْأَمْرُ)المتضمن للشرائع و النبوات يتضمن أحكامه الدينية الشرعية و ثم أحكام الجزاء و ذلك يكون فى دار البقاء

(تَبَارَكَ ٱللَّهُ)عظم و تعالى و كثر خيره و إحسانه فتبارك فى نفسه لعظمة أوصافه و كمالها و بارك فى غيره بإحلال الخير الجزيل و البر الكثير فكل بركة فى الكون فمن آثار رحمته

و لهذا قال فـ(تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)(٥٤)

*و لما ذكر من عظمته و جلاله ما يدل ذوى الألباب على أنه:–وحده المعبود المقصود فى الحوائج كلها

أمر بما يترتب على ذلك فقال:–(ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ)الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة و دعاء العبادة

فأمر بدعائه (تَضَرُّعًا)أى:إلحاحا فى المسألة و دُءُوبا فى العبادة تـذللا و استكانة

كقوله(وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ) الأعراف: ٢٠٥

(وَخُفْيَةً ۚ)لا جهرا و علانية يخاف منه الرياء بل خفية و إخلاصا للّه تعالى.

*بِخُشُوعِ قُلُوبِكُمْ وَ صِحَّةِ الْيَقِينِ بِـــ:- وَحْدَانِيَّتِهِ وَ رُبُوبِيَّتِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ لَا جِهَارًا وَ مُرَاءَاةً.

(إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ)المتجاوزين للحد فى كل الأمور

و مـــــن الاعتـــــداء:–

1–كون العبد يسأل اللّه مسائل لا تصلح له 2–أو يتنطع فى السؤال 3–أو يبالغ فى رفع صوته بالدعاء

فكل هذا داخل فى الاعتداء المنهى عنه.

*البخارى 4205 عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺقَالَ: -

لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَيْبَرَ أَوْ قَالَ:-لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ:- اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَ هُوَ مَعَكُمْ»

*أحمد 16801 عَنْ أَبِي نَعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ:-

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا عَنْ يَمِينِي.قَالَ:-فَقَالَ لَهُ:-

يَا بُنَيَّ سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ وَ تَعَوَّذْهُ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:-

"سَيَكُونُ بَعْدِي قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَ الطَّهُورِ"(٥٥)

(وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ)بالمعاصى(بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا)بالطاعات فإن المعاصى تفسد الأخلاق و الأعمال و الأرزاق

كما قال تعالى:(ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الروم: ٤١

كما أن الطاعات تصلح بها:–الأخلاق و الأعمال و الأرزاق و أحوال الدنيا و الآخرة

(وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ)أى: خوفا من عقابه و طمعا فى ثوابه طمعا فى قبولها و خوفا من ردها

لا دعاء:–1–عبد مدل على ربه قد أعجبته نفسهو نزل نفسه فوق منزلته 2–أو دعـاء من هو غافل لاهٍ.

*و حاصل ما ذكر اللّه من آداب الدعاء:–

1-الإخلاص فيه للّه وحده لأن ذلك يتضمنه الخفية و إخفاؤه و إسراره

2-و أن يكون القلب خائفا طامعا لا غافلا و لا آمنا و لا غير مبال بالإجابة

*و هذا من إحسان الدعاء فإن الإحسان فى كل عبادة بذل الجهد فيها و أداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه و لهذا قال:-(إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)فى عبادة اللّه المحسنين إلى عباد اللّه

فكلما كان العبد أكثر إحسانا:-

1-كان أقرب إلى رحمة ربه 2-و كان ربه قريبا منه برحمته و فى هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى.

*كقوله (وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الأعراف: ١٥٦

*يبين تعالى أثرا من آثار قدرته و نفحة من نفحات رحمته فقال:-

(وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا)المبشرات بالغيث التى تثيره بإذن اللّه من الأرض

(بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ)فيستبشر الخلق برحمة اللّه و ترتاح لها قلوبهم قبل نزوله.

أمثلة إثبات إحياء الموتى 57-58

*كقوله (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ)الروم: ٤٦

(وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ)الشورى: ٢٨

(حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ)حملت الرياح(سَحَابٗا ثِقَالٗا)قد أثاره بعضها و ألفه ريح أخرى و ألحقه ريح أخرى

(سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ)كقوله (وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ) يس: ٣٣

*قد كادت تهلك حيواناته و كاد أهله أن ييأسوا من رحمة اللّه(فَأَنزَلۡنَا بِهِ)أى:-بذلك البلد الميت

(ٱلۡمَآءَ)الغزير من ذلك السحاب و سخر اللّه له ريحا تدره و تفرقه بإذن اللّه.

(فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ)فأصبحوا مستبشرين برحمة اللّه راتعين بخير اللّه

كما أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات(كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ)من قبورهم بعد ما كانوا رفاتا متمزقين يُنَزِّلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ فَتُمْطِرُ الْأَرْض أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَتَنْبُتُ مِنْهُ الْأَجْسَادُ فِي قُبُورهَا كَمَا يَنْبُتُ الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ.
وَ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ يَضْرِبُ اللَّهُ مَثَلًا لِلْقِيَامَةِ بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا

*و هذا استدلال واضح فإنه لا فرق بين الأمرين فمنكر البعث استبعادا له-مع أنه يرى ما هو نظيره-من باب العناد و إنكار المحسوسات.

(لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)و فى هذا الحث على التذكر و التفكر فى آلاء اللّه و النظر إليها بعين الاعتبار و الاستدلال لا بعين الغفلة و الإهمال٥٧

آيات تعاقب الليل و النهار في كتاب الله

أحمد محمد مصلح - ماجستير فيزياء - الأردن

عندما نجد إشارات في القرآن الكريم حول بعض القضايا والسنن الكونية

فما هي إلا حوافز للعقل البشرى وشواهد على أن القرآن الكريم كلام الله وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فعندما نستعرض آيات تعاقب الليل و النهار فى كتاب الله نجد أنها قد ذكرت فى اثنين وعشرين موضعاً و غالباً ما قرنت هذه الآيات بطلب من الله تعالى للتفكر فيها.

فلقد قال رسول الله ﷺ- بخصوص الآيات التى ذكر فيها تعاقب الليل و النهار فى سورة آل عمران:

(ويل لمن قرأها ولم يتفكر بها).

و فى هذا المقال نود أن نربط هذه الآيات فيما يتعلق بدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس.

إن ظاهر هذه الآيات الكريمة فى هذا الموضوع لا تعطينا حقيقة علمية صريحة حتى نقارنها بما توصل إليه العلم الحديث و لكنها تلفت نظر البشرية إلى أنه لا بد من التمعن و التفكر و التمحيص و البحث وراء مكونات هذه الآيات و الناظر في هذه الآيات يرى أنها تشير فى موضوعين إلى ظاهرتين متصلتين و منفصلتين فى قضية تعاقب الليل والنهار و أن بينهما علاقة لا بد من إيجادها وهذان الموضوعان هما:-

الموضوع الأول :

اختلاف الليل والنهار بمعنى أن هذا يجىء ثم يذهب و يخلفه الآخر ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة و كذلك هناك إعجال في الاتصال بينهما.و إليكم الآيات التى تتحدث فى هذا الموضوع:قال تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ) البقرة: ١٦٤و قوله تعالى(إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ)آل عمران: ١٩٠

و قوله تعالى(إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا) الأعراف: ٥٤

وقوله تعالى(إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ) يونس: ٦

و قوله تعالى(وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الرعد: ٣و قوله تعالى(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) الفرقان: ٦٢

وقوله تعالى (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ)الزمر: ٥ وقوله(وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ)الجاثية: ٥

الموضوع الثانى:

إن النهار والليل يزيدان وينقصان فى الزمن على حساب بعضهما و إليكم الآيات التي تتحدث فى هذا الموضوع :

قوله تعالى: (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب)آل عمران 27

و قوله تعالى:(ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير)الحج 61

و قوله تعالى:(يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجلٍ مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير)فاطر 13وقوله:(والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم)المزمل 20

وإليكم بعض معانى الكلمات المهمة من هذه الآيات مستخرجة من قاموس لسان العرب :-

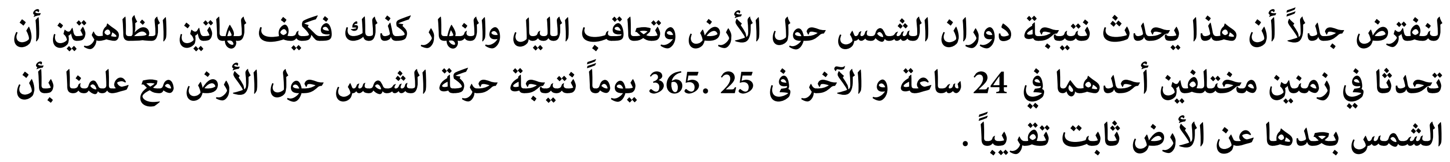
يغشى: الغشاء: الغطاء. حثيثاً:-الإعجال فى الاتصال.يكور:-يلحق أحدهما بالآخر (إدخال كل واحد منهما فى صاحبه).

يولج: يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا و لقد قسمت هذه الآيات إلى موضوعين هكذا اعتماداً على استنتاجات تفسير الآيات من تفسير ابن كثير.:-نحن نعرف أن مصدر ضوء النهار هو الشمس و الليل يعم أجزاءً من الأرض عند غيابها. و الملاحظ بالعين أن الشمس تشرق من الشرق و تتحرك في السماء حتى تغرب من جهة الغرب على شكل قوسى وهو جزء من مسار دائرى.شرق الأرض غرب:

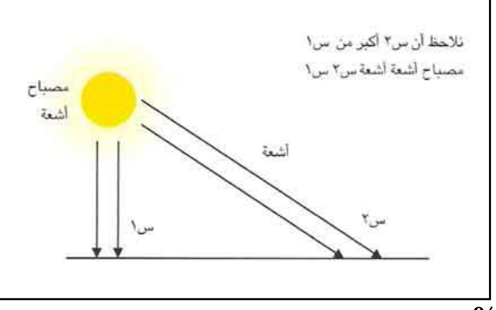
أى أن الأمر الأول من الآيات الكريمة لفت النظر والعقل البشر ى إلى أن هذا التعاقب في الليل والنهار ينتج عن حركة دائرية ولكن لا ندري أهو حركة الأرض حول الشمس أم حركة الشمس حول الأرض مع أن المشاهد هو أن الشمس ه ى التي تتحرك ومنطقياً لو ضربنا المثال التالي:

لو أنك واقف في وسط ملعب دائري وسيارة تدور من حولك سنراها في جزء قوسي من الملعب ثم تغيب عنك ولو كان العكس أي أن السيارة واقفة وأنت تدور في مكانك فلسوف تراها أيضاً بنفس الشكل القوسي ثم تغيب عنك

لذلك لا نستطيع بمجرد مشاهدة الشمس تشرق و تغيب أن تحكم أيهما يدور حول الآخر
فلكي نحكم من الذي يدور حول الآخر لا بد من النظر و التمعن فى الموضوع الثانى من الآيات و هو:-
لماذا يزيد وينقص كل من الليل و النهار على حساب بعضهما.
و الملاحظ أن هذا يحدث على مدار السنة أي أثناء تعاقب الفصول الأربعة
وهذا الاختلاف يحدث ويختلف من بقعة إلى أخرى على الكرة الأرضية.
أى أن تعاقب الفصول الأربعة خلال العام يؤثر على كل من طول الليل والنهار
و العكس صحيح ولإيجاد العلاقة بينهما نطرح السؤال التالى
(كيف يحدث تعاقب الفصول الأربعة) ؟
لنفترض جدلاً أن هذا يحدث نتيجة دوران الشمس حول الأرض وتعاقب الليل والنهار كذلك فكيف لهاتين الظاهرتين أن تحدثا في زمنين مختلفين أحدهما في 24 ساعة و الآخر فى 25 .365 يوماً نتيجة حركة الشمس حول الأرض مع علمنا بأن الشمس بعدها عن الأرض ثابت تقريباً .



و لكى نفهم الأمر ملياً نضرب لكم المثال الحسى التالى :-
طائف بالبيت العتيق إذا قرب من البيت فإنه يدور حوله فى زمن قصير و إذا بعد عنه فإنه يدور حوله فى زمن كبير
أى لا يستطيع أن يحقق حتماً زمنين مختلفين من جراء دورة واحدة فقط
إذاً الافتراض الجدلى بأن الشمس ه ى التى تدور حول الأرض باطل بسبب تناقض نتائج التعاقبين إذاً نحن الآن أمام افتراض بأن الظاهرتين تحدثان نتيجة دوران الأرض و لكن كيف يتحقق ذلك ؟
و حتى نتحقق من هذا الافتراض والحكم عليه بالصواب أو الخطأ نستعرض الحقائق والمشاهدات العلمية التالية:
أولاً:-أن حرارة الشمس تكون أشد ما يكون وقت الظهيرة وهي بذلك عمودية على سطح الأرض وتكون حرارة الشمس ضعيفة عند الشروق والغروب وهي بذلك تكون مائلة على سطح الأرض بسبب توزع نفس كمية الحرارة على مساحة أوسع كما في تجربة المصباح التالية :



ثانياً:-من المعروف أن حرارة المناطق الاستوائية أعلى من المناطق الشمالية والجنوبية على الكرة الأرضية..لماذا ؟
الجواب أن ذلك بسبب ميلان الشمس على سطح الأرض الكروية في شمالها وجنوبها ..إذاً نستطيع أن نستنتج أن الفصول الأربعة تحدث نتيجة ميلان الأشعة الشمسية على الكرة الأرضية مع الإقرار بالحقيقة العلمية و ه ى:-أن بعد الأرض عن الشمس ثابت بنسبة تصل 99 .99 %
نرجع الآن إلى افترضنا الثانى بدوران الأرض حول الشمس وهل له أن يحقق هذين التعاقبين؟
الجواب:-نعم و لكن بالشروط التالية :
1- أن يكون للأرض دورة حول نفسها بسرعة معينة لإحداث اختلاف الليل والنهار.
2- أن يكون للأرض دورة أخرى حول الشمس بسرعة مختلفة لإحداث الفصول الأربعة وطول وقصر الليل والنهار
ولكن بشرط:أن يكون مستوى الفلك(المدار)الذي تدور فيه الأرض حول الشمس يصنع زاوية مع دائرة الاستواء الأرضى

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

*ثم ذكر تفاوت الأراضي التى ينزل عليها المطر فقال:-(وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ)طيب التربة و المادة إذا نزل عليه مطر (يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ)الذى هو مستعد له(بِإِذْنِ رَبِّهِۦ)بإرادة اللّه و مشيئته فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء حتى يأذن اللّه بذلك كقوله(وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) آل عمران: ٣٧

(وَٱلَّذِى خَبُثَ)من الأراضى(لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا)إلا نباتا خاسا لا نفع فيه و لا بركة.

(كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ)ننوع و نبين(ٱلْءَايَٰتِ)و نضرب فيها الأمثال و نسوقها(لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ)اللّه بـــ:-

1-الاعتراف بنعمه2-و الإرار بها3-و صرفها فى مرضاة اللّه

فهم الذين ينتفعون بما فصل اللّه في كتابه من الأحكام و المطالب الإلهية لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها فيتدبرونها و يتأملونها

فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم

و هذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة كما أن الغيث مادة الحياة

فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي:-تقبله و تعلمه و تنبت بحسب طيب أصلها و حسن عنصرها.

*و أما القلوب الخبيثة التى لا خير فيها:- فإذا جاءها الوحى لم يجد محلا قابلا بل يجدها غافلة معرضة أو معارضة فيكون كالمطر الذى يمر على السباخ و الرمال و الصخور فلا يؤثر فيها شيئا و هذا كقوله تعالى:

(أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ)الرعد: ١٧ 58

*لما ذكر تعالى من أدلة توحيده جملة صالحة أيد ذلك بذكر ما جرى للأنبياء الداعين إلى توحيده مع أممهم المنكرين لذلك و كيف أيد اللّه أهل التوحيد و أهلك من عانده‍م و لم يَنْقَذْ لهم و كيف اتفقت دعوة المرسلين على دين واحد و معتقد واحد فقال عن نوح–أول المرسلين–

قصص الأنبياء 59-136

قصة نوح 59-64

(لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ)يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده حين كانوا يعبدون الأوثان

(حوالى3950 ق م)

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ حَادِثٌ فِي النَّاسِ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَ هُوَ الْإِسْلَامُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَ نُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ

ثُمَّ وَقَعَ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ النَّاسِ و عُبدت الْأَصْنَامُ وَ الْأَنْدَادُ وَ الْأَوْثَانُ فَبَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ بِآيَاتِهِ وَ بَيِّنَاتِهِ و حُجَجه الْبَالِغَةِ وَ بَرَاهِينِهِ الدَّامِغَةِ {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} [الْأَنْفَالِ: 42] .

*قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ:-وَ كَانَ أَوَّلُ مَا عُبِدَتِ الْأَصْنَامُ أَنَّ قَوْمًا صَالِحِينَ مَاتُوا فَبَنَى قَوْمُهُمْ عَلَيْهِمْ مساجدَ وَ صَوَّرُوا صُوَرَ أُولَئِكَ فِيهَا لِيَتَذَكَّرُوا حَالَهُمْ وَ عِبَادَتَهُمْ فَيَتَشَبَّهُوا بِهِمْ.

فَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ جَعَلُوا تِلْكَ الصُّوَرَ أَجْسَادًا عَلَى تِلْكَ الصُّوَرِ.

فَلَمَّا تَمَادَى الزَّمَانُ عَبَدُوا تِلْكَ الْأَصْنَامَ وَ سَمَّوْهَا بِأَسْمَاءِ أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ وَدًّا وَسُوَاعًا و يَغُوث وَ يَعُوق وَ نَسْرًا".

فَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَعَثَ اللَّهُ –وَ لَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ-رَسُولَهُ نُوحًا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك

(فَقَالَ)لهم(يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ)أى: وحده(مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ)

لأنه الخالق الرازق المدبِّر لجميع الأمور و ما سواه مخلوق مدبَّر ليس له من الأمر شيء

ثم خوفهم إن لم يطيعوه عذاب اللّه فقال:–

(إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)و هذا من نصحه ﷺ و شفقته عليهم

حيث خاف عليهم العذاب الأبدى و الشقاء السرمدى كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم و أمهاتهم 59

*فلما قال لهم هذه المقالة ردوا عليه أقبح رد:–

(قَالَ ٱلۡمَلَأُ)الْجُمْهُورُ وَ السَّادَةُ وَ الْقَادَةُ وَ الْكُبَرَاءُ الأغنياء المتبوعون(مِن قَوۡمِهِۦٓ)الذين قد جرت العادة باستكبارهم على الحق و عدم انقيادهم للرسل

(إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)فِي دَعْوَتِكَ إِيَّانَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا.

وَ هَكَذَا حَالُ الْفُجَّارِ إِنَّمَا يَرَوْنَ الْأَبْرَارَ فِي ضَلَالَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ} [الْمُطَفِّفِينَ:32]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}[الْأَحْقَافِ:11]

*فلم يكفهم–قبحهم اللّه–أنهم لم ينقادوا له بل:–

1–استكبروا عن الانقياد له 2–و قدحوا فيه أعظم قدح و نسبوه إلى الضلال

3–و لم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالا مبينا واضحا لكل أحد.

و هذا من أعظم أنواع المكابرة التى لا تروج على أضعف الناس عقلا 60

*و إنما هذا الوصف منطبق على قوم نوح الذين جاءوا إلى أصنام قد صوروها و نحتوها بأيديهم من الجمادات التى لا تسمع و لا تبصر و لا تغنى عنهم شيئا فنزلوها منزلة فاطر السماوات و صرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات فلولا أن لهم أذهانا تقوم بها حجة اللّه عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم بل هم أهدى منهم و أعقل فرد نوح عليهم ردا لطيفا و ترقق لهم لعلهم ينقادون له فـ(قَالَ):–

(يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ)لست ضالا فى مسألة من المسائل بوجه من الوجوه

و إنما أنا هاد مهتد بل هدايته ﷺ من جنس هداية إخوانه أولى العزم من المرسلين أعلى أنواع الهدايات و أكملها و أتمها و هى هداية الرسالة التامة الكاملة و لهذا قال:–

(وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)ربى و ربكم و رب جميع الخلق الذى ربى جميع الخلق بأنواع التربية الذى من أعظم تربيته:–

أن أرسل إلى عباده رسلا تأمرهم بـــ:–

الأعمال الصالحة و الأخلاق الفاضلة و العقائد الحسنة و تنهاهم عن أضدادها 61 و لهذا قال:–

(أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي)وظيفتى تبليغكم ببيان توحيده و أوامره و نواهيه

(وَأَنصَحُ لَكُمۡ)مشفقا عليكم

*مسلم 1218-قال ﷺوَ قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللهِ وَ أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَ أَدَّيْتَ وَ نَصَحْتَ فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَ يَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ اشْهَدْ اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

(وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)فالذى يتعين أن تطيعونى و تنقادوا لأمرى إن كنتم تعلمون62

(أَوَعَجِبۡتُمۡ)كيف تعجبون من حالة لا ينبغى العجب منها(أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ)التذكير و الموعظة و النصيحة

(مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ)يد(رَجُلٖ مِّنكُمۡ)تعرفون حقيقته و صدقه و حاله؟

فهذه الحال من عناية اللّه بكم و بره وإحسانه الذى يتلقى بالقبول و الشكر

(لِيُنذِرَكُمۡ)العذاب الأليم(وَلِتَتَّقُواْ)و تفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى اللّه ظاهرا و باطنا

(وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ)و بذلك تحصل عليهم و تنزل رحمة اللّه الواسعة.فلم يفد فيهم و لا نجح 63

(فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ)السفينة التى أمر اللّه نوحا ﷺبصنعتها و أوحى إليه أن يحمل من كل صنف من الحيوانات زوجين اثنين و أهله و من آمن معه فحملهم فيها و نجاهم اللّه بها.

قصة هود 65-72

كقوله (مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا) نوح: ٢٥

(وَأَغْرَقْنَا)بطوفان نوح حوالى 3000 عام قبل الميلاد

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ)البينات ما بهم يؤمن أولو الألباب فسخروا منه و استهزءوا به و كفروا

(إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ)عن الهدى بعدما أبصروا الحق

(و)أرسلنا (وَإِلَىٰ عَادٍ)الأولى الذين كانوا فى أرض اليمن(حوالى 2400 قبل الميلاد)و هم أولاد عاد بن إرم

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ)[الفجر] مساكنهم باليمن بالأحقاف و ه ى جبال الرمل

(أَخَاهُمْ)فى النسب(هُودًا)ﷺيدعوهم إلى التوحيد و ينهاهم عن الشرك و الطغيان فى الأرض.

فــــــ(قَالَ)لهم:–(ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ)سخطه و عذابه إن أقمتم على ما أنتم عليه فلم يستجيبوا و لا انقادوا65

فـــــ(قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ)رادين لدعوته قادحين فى رأيه:–

(إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ)غير رشيد(وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ)و يغلب على ظننا أنك(مِنَ)جملة(ٱلْكَـٰذِبِينَ)

و قد انقلبت عليهم الحقيقة و استحكم عماهم حيث رموا نبيهم ﷺبما هم متصفون به

و هو أبعد الناس عنه فإنهم السفهاء حقا الكاذبون.

و أى سفه أعظم ممن قابل أحق الحق بالرد و الإنكار و تكبر عن الانقياد للمرشدين و النصحاء

و انقاد قلبه و قالبه لكل شيطان مريد و وضع العبادة فى غير موضعها فعبد من لا يغنى عنه شيئا من الأشجار و الأحجار؟

و أى كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى اللّه تعالى؟ 66

(قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ)بوجه من الوجوه بل هو الرسول المرشد الرشيد

(وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ)

كقوله (فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ)

فصلت: ١٥ 67

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول و الانقياد و طاعة رب العباد.

*وَ هَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الرُّسُلُ الْبَلَاغَةُ وَ النُّصْحُ وَ الْأَمَانَةُ68

(أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ)أى:كيف تعجبون من أمر لا يتعجب منه و هو أن اللّه أرسل إليكم

(عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ)تعرفون أمره(لِيُنذِرَكُمْ)يذكركم بما فيه مصالحكم و يحثكم على ما فيه النفع لكم فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين.

(وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ)و احمدوا ربكم و اشكروه إذ مكن لكم فى الأرض

(مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ)و جعلكم تخلفون الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل

فأهلكهم اللّه و أبقاكم لينظر كيف تعملون و احذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا فيصيبكم ما أصابهم

(و)اذكروا نعمة اللّه عليكم التى خصكم بها

(و)هى أن(وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً)فى القوة و البطش و جَعَلَكُمْ أَطْوَلَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِكُمْ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:فِي قِصَّةِ طَالُوتَ:{وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ} [البَقَرَة:247]

(فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ)نعم الواسعة(ٱللَّهِ)و أياديه المتكررة

(لَعَلَّكُمْ)إذا ذكرتموها بشكرها وأداء حقها

(تُفۡلِحُونَ)تفوزون بالمطلوب و تنجون من المرهوب فوعظهم و ذكرهم
و أمرهم بالتوحيد و ذكر لهم وصف نفسه و أنه ناصح أمين و حذرهم أن يأخذهم اللّه كما أخذ من قبلهم
و ذكَّرهم نعم اللّه عليهم و إدرار الأرزاق إليهم فلم ينقادوا و لا استجابوا69

فـــــ(قَالُوٓاْ)متعجبين من دعوته و مخبرين له أنهم من المحال أن يطيعوه:–

(أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا)
قبحهم اللّه جعلوا الأمر الذى هو أوجب الواجبات و أكمل الأمور من الأمور التى لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم
فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك و عبادة الأصنام على ما دعت إليه الرسل من توحيد اللّه وحده لا شريك له و كذبوا نبيهم و قالوا:–

(فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)و هذا استفتاح منهم على أنفسهم. كَمَا قَالَ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ:-
{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[الأَنْفَالِ:32]70

*فقَالَ لهم هود عليه السلام:–(قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٌ)عذاب
(وَغَضَبٌ)لا بد من وقوعه فقد انعقدت أسبابه و حان أوانه
(أَتُجَٰدِلُونَنِي)كيف تجادلون(فِيٓ أَسۡمَآءٍ)على أمور لا حقائق لها و على أصنام
(سَمَّيۡتُمُوهَآ)آلهة و هى لا شيء من الآلهة فيها و لا مثقال ذرة(أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم)
و(مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ)فإنها لو كانت صحيحة لأنزل اللّه بها سلطانا
*فعدم إنزاله له دليل على بطلانها فإنه ما من مطلوب و مقصود–و خصوصا الأمور الكبار–إلا و قد بين اللّه فيها من الحجج ما يدل عليها و من السلطان ما لا تخفى معه.

(فَٱنتَظِرُوٓاْ)ما يقع بكم من العقاب الذى وعدتكم به
(إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ)و فرق بين الانتظارين انتظار من يخشى وقوع العقاب و من يرجو من اللّه النصر و الثواب 71و لهذا فتح اللّه بين الفريقين فقال: –

(فَأَنجَيۡنَٰهُ)أى:هودا
(وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا)فإنه الذى هداهم للإيمان و جعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته
(وَقَطَعۡنَا)استأصلنا(دَابِرَ)آخرهم لأنه إذا هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ)بالريح العقيم(الصرصر)الذى لم يُبْقِ منهم أحدا

(وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ) الذاريات

(تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ) الأحقاف

(وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧

فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ) الحاقة

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج فلم ينقادوا لها و أمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك و الخزى و الفضيحة.

(وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ) هود: ٦٠

و قال هنا (وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ)

بوجه من الوجوه بل وصفهم التكذيب و العناد و نعتهم الكبر و الفساد.

*وَ قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ صِفَةَ إِهْلَاكِهِمْ فِي أَمَاكِنَ أُخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ

كقوله﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾الحاقة: ٧

لَمَّا تَمَرَّدُوا وَ عَتَوْا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرِيحٍ عَاتِيَةٍ فَكَانَتْ تَحْمِلُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فَتَرْفَعُهُ فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ تُنَكِّسُهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فتثلغُ رَأْسَهُ حَتَّى تُبينه من بين جُثَّتِهِ وَ لِهَذَا قَالَ:-{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}72

(و)أرسلنا(وَإِلَىٰ ثَمُودَ)القبيلة المعروفة الذين كانوا يسكنون الحجر و ما حوله من أرض الحجاز و جزيرة العرب

أرسل اللّه إليهم(أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ)[حوالى 2400 قبل الميلاد]نبيا يدعوهم إلى الإيمان و التوحيد و ينهاهم عن الشرك و التنديد

قصة صالح 73-79

فــ(قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ)دعوته عليه السلام من جنس دعوة إخوانه من المرسلين الأمر بعبادة اللّه و بيان أنه ليس للعباد إله غير اللّه

(قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ)بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه أمامكم (مِّن رَّبِّكُمۡۖ)إذ دعوتُ الله

ثم فسرها بقوله:(هَٰذِهِۦ نَاقَةُ)شريفة فاضلة من (ٱللَّهِ)إضافتها إلى اللّه تعالى إضافة تشريف

(لَكُمۡ)فيها(ءَايَةٗۖ)عظيمة.و قد ذكر وجه الآية فى قوله:(قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ)الشعراء: ١٥٥

و كان عندهم بئر كبيرة و هى المعروفة ببئر الناقة يتناوبونها هم و الناقة للناقة يوم تشربها و يشربون اللبن من ضرعها و لهم يوم يردونها و تصدر الناقة عنهم.

و قال لهم نبيهم صالح عليه السلام (فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ)فلا عليكم من مئونتها شىء

(وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ)أى: بعقر أو غيره(فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)قَدْ جَاءَتْكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ.

وَ كَانُوا هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا صَالِحًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ تَخْرُجَ لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صمَاء عَيّنوها بِأَنْفُسِهِمْ وَ هِىَ صَخْرَةٌ مُنْفَرِدَةٌ فِي نَاحِيَةِ الحِجْرِ يُقَالُ لَهَا:-الكَاتبة

فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ مِنْهَا نَاقَةً عُشَراء تَمْخَضُ فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ الْعُهُودَ وَ الْمَوَاثِيقَ لَئِنْ أَجَابَهُمُ اللَّهُ إِلَى سُؤَالِهِمْ وَ أَجَابَهُمْ إِلَى طُلْبتهم لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَيَتْبَعُنَّهُ؟

فَلَمَّا أَعْطَوْهُ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَهُمْ وَ مَوَاثِيقَهُمْ قَامَ صَالِحٌ‏عليه السلام‏إِلَى صَلَاتِهِ وَ دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

فَتَحَرَّكَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ ثُمَّ انْصَدَعَتْ عَنْ نَاقَةٍ جَوْفاء وَ بْرَاء يَتَحَرَّكُ جَنِينُهَا بَيْنَ جَنْبَيْهَا كَمَا سَأَلُوا

فَأَقَامَتِ النَّاقَةُ وَ فَصِيلُهَا بَعْدَ مَا وَضَعَتْهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مُدَّةً تَشْرَبُ مَاءَ بِئْرِهَا يَوْمًا وَ تَدَعُهُ لَهُمْ يَوْمًا

وَ كَانُوا يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمَ شُرْبِهَا يَحْتَلِبُونَهَا فَيَمْلَئُونَ مَا شَاءُوا مِنْ أَوْعِيَتِهِمْ وَ أَوَانِيهِمْ كَمَا قال:-

{وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ}[القَمَر:28]وَ قَالَ{هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ} [الشُّعَرَاء:155]

و كانت تسرح في بعض تلك الأودية وَ كَانَتْ -عَلَى مَا ذُكِرَ -خَلْقًا هَائِلًا وَ مَنْظَرًا رَائِعًا إِذَا مَرَّتْ بِأَنْعَامِهِمْ نَفَرَتْ مِنْهَا.

فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ وَ اشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لِصَالِحِ النَّبِيِّ‏عليه السلام‏عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهَا لِيَسْتَأْثِرُوا بِالْمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ فَيُقَالُ:-

إِنَّهُمُ اتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى قَتْلِهَا قَالَ قَتَادَةُ:-بَلَغَنِي أَنَّ الَّذِى قَتَلَ النَّاقَةَ طَافَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ

أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِقَتْلِهَا حَتَّى عَلَى النِّسَاءِ فِي خُدُورِهِنَّ وَ عَلَى الصِّبْيَانِ أَيْضًا

قُلْتُ:-وَ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا} [الشَّمۡس:14]

وَ قَالَ:{وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ} [الإِسۡرَاء:59]وَ قَالَ:{فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ}فَأَسْنَدَ ذَلِكَ عَلَى مَجْمُوعِ الْقَبِيلَةِ

فَدَلَّ عَلَى رِضَا جَمِيعِهِمْ بِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.{فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ}أَىْ:-صَرْعَى لَا أَرْوَاحَ فِيهِمْ

قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ: وَ لَمْ يَبْقَ مِنْ ذُرِّيَّةِ ثَمُودَ أَحَدٌ سِوَى صَالِحٍ‏عليه السلام‏وَ مَن اتَّبَعَهُ‏إِلَّا أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ:-

"أَبُو رِغال"كَانَ لَمَّا وَقَعَتِ النِّقْمَةُ بِقَوْمِهِ مقيما فِي الْحَرَمِ فَلَمْ يَصِبْهُ شَيْءٌ فَلَمَّا خَرَجَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ إِلَى الْحِلِّ جَاءَهُ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَتَلَهُ٧٣

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾

(وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ)فى الأرض تتمتعون بها و تدركون مطالبكم

(مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ)الذين أهلكهم اللّه و جعلكم خلفاء من بعدهم

(وَبَوَّأَكُمۡ)مكنكم(فِي ٱلۡأَرۡضِ)و سهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون و تبتغون

(تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا)

من الأراضى السهلة التى ليست بجبال تتخذون فيها القصور العالية و الأبنية الحصينة

(وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ)كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التى فى الجبال من:-المساكن و الحجر و نحوها و هى باقية ما بقيت الجبال

(فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ)نعمه و ما خولكم من الفضل و الرزق و القوة

(وَلَا تَعۡثَوۡاْ)تخربوا(فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ)بالمعاصى فإن المعاصى تدع الديار العامرة بلاقع و قد أخلت ديارهم منهم و أبقت مساكنهم موحشة بعدهم.

(قَالَ ٱلۡمَلَأُ)الرؤساء و الأشراف(ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ)تكبروا عن الحق (مِن قَوۡمِهِۦ)

(لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ)و لما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين قالوا :

(لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ)أى: أهو صادق أم كاذب؟

فقال المستضعفون: (قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ)من توحيد اللّه و الخبر عنه و أمره و نهيه.

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ)حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذى انقاد له الضعفاء

(فَعَقَرُواْ)نحروا(ٱلنَّاقَةَ)التى توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم

(وَعَتَوْاْ)قسوا(عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)و استكبروا عن أمره الذى من عتا عنه أذاقهالعذاب الشديد.

لا جرم أحل اللّه بهم من النكال ما لم يحل بغيرهم

(وَقَالُواْ)مع هذه الأفعال متجرئين على اللّه معجزين له غير مبالين بما فعلوا بل مفتخرين بها:

(يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)من العذاب فقال:(تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)

(فَأَخَذَتْهُمُ)أى الذين كفروا(ٱلرَّجْفَةُ)الزلزلةُ الشديدة التى خلعت قلوبهم

(فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ)على ركبهم قد أبادهم اللّه و قطع دابرهم.

(فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ)صالح ﷺحين أحل اللّه بهم العذاب

*هَذَا تَقْرِيعٌ مِنْ صَالِحﷺلِقَوْمِهلَمَّا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ إياه و تمردهم على الله وَ إِبَائِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى العَمى-قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ ذَلِكَ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ تَقْرِيعًا وَ تَوْبِيخًا وَ هُمْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ أَقَامَ هُنَاكَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فشُدّت بَعْدَ ثَلَاث مِنْ آخَرِ اللَّيْلِ فَرَكِبَهَا ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَقفَ عَلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ فَجَعَلَ يَقُولُ:-
"يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ:-
هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا"
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلّم مِنْ أَقْوَامٍ قَدْ جُيِّفُوا؟ فَقَالَ:-
"وَالَّذِى نَفْسى بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَ لَكِنْ لَا يُجِيبُونَ".

(وَقَالَ)مخاطبا لهم توبيخا و عتابا بعدما أهلكهم اللّه:–

(يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ)

أي: جميع ما أرسلني اللّه به إليكم قد أبلغتكم به و حرصت على هدايتكم و اجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم و الدين القويم.

(وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ)بل رددتم قول النصحاء و أطعتم كل شيطان رجيم.

و اعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة:–أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح

و أنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة و هم ينظرون و أن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات

و انفلق له الجبل و دخل فيه و أن صالحا عليه السلام قال لهم:–آية نزول العذاب بكم

فإن صالحا قال لهم: (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) هود: ٦٥

أي: تنعموا و تلذذوا بهذا الوقت القصير جدا فإنه ليس لكم من المتاع و اللذة سوى هذا

و أى لذة و تمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب

(وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ) الذاريات

(فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) الحاقة: ٥ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) القمر: ٣١

قصة لوط 80-84

أى:(و)اذكر عبدنا(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ)[حوالى 1992 قبل الميلاد]

*وَ لُوطٌ هُوَ ابْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ وَ هُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ كَانَ قَدْ آمَنَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَ هَاجَرَ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ فَبَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أهل "سَدُوم"و ما حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَمَّا كَانُوا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ:-
الْمَآثِمِ وَ الْمَحَارِمِ وَ الْفَوَاحِشِ الَّتِى اخْتَرَعُوهَا لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَ لَا غَيْرِهِمْ[وَ هُوَ إِتْيَانُ الذُّكُورِ]
وَ هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ بَنُو آدَمَ تَعْهَدُهُ وَ لَا تَأْلَفُهُ وَ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ حَتَّى صَنَعَ ذَلِكَ أَهْلُ "سَدُوم" عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّه.

فقال:(أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ)الخصلة التى بلغت–فى العظم و الشناعة–إلى أن استغرقت أنواع الفحش

(مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ)فكونها فاحشة من أشنع الأشياء و كونهم ابتدعوها و ابتكروها ﴿٨٠﴾

و سنوها لمن بعدهم من أشنع ما يكون أيضا.

ثم بينها بقوله: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ)

كيف تذرون النساء اللاتي خلقهن اللّه لكم و فيهن المستمتع الموافق للشهوة و الفطرة

و تقبلون على أدبار الرجال التي هي غاية ما يكون في الشناعة و الخبث و محل تخرج منه الأنتان و الأخبات

التي يستحيي من ذكرها فضلا عن ملامستها و قربها

(بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)متجاوزون لما حده اللّه متجرئون على محارمه﴿٨١﴾

الاعجاز فى (((فأخذتهم الرجفة))) الرابط

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)[الزمر: 68]

و السؤال: ما هي حقيقة النفخ في الصور؟

و ما هو تأثير الصوت على الإنسان و ما علاقة الصاعقة بالنفخ فى الصور؟

و هل تحوى هذه الآية وغيرها من الآيات حقائق علمية عن تأثير الصوت العالى على الإنسان؟

وةهل وصف الله لنا بدقة ما يسميه العلماء اليوم بالأسلحة الصوتية؟

ما هو الصوت؟

الصوت هو عبارة عن اهتزازات ميكانيكية تنتقل في الهواء على شكل موجات صوتية وتؤثر على طبلة الأذن فتجعلها تهتز وتنقل هذه الذبذبات إلى الدماغ ليحللها و يصدر أوامره للجسم.

و يؤثر الصوت على الإنسان بشكل كبير و بخاصة إذا كانت قوة الصوت عالية و يؤدى إلى اضطرابات فيزيولوجية و نفسية عديدة تظهر على نظام عمل الجسم.

إن المجال الصوتى الذى نسمعه يتراوح بين 20 هرتز و 20.000 هرتز

و الترددات التى تقل عن 20 تعتبر موجات تحت صوتية infrasound

و الترددات التى تزيد على 20000 تعتبر ترددات فوق صوتية ultrasound.

تقاس قوة الصوت بواحدة قياس تدعى الدسبيل dB

قوةالصوت (ديسبل)	التأثير
120	تتعرض الأذن لآلام واضحة
140	تنفجر طبلة الأذن
150	يبدأ القفص الصدرى بالاهتزاز و يتعرض الشخص للغثيان و السعال الحاد و ضيق شديد فى التنفس
200	تنفجر الرئتين
200<	تتأذى كل أنحاء الجسم و تنتهى باضطرابات فى عمل القلب و الدماغ و تكون النتيجة هى الموت.
ترددات صوتية عالية فوق سمعية	درجة حرارة جسده ترتفع ثم يبدأ بالاحتراق بسبب موجات الضغط العالية التى تسخن الهواء من حوله
ترددات عالية و الصوت شديداً	تتولد فقاعات فى الجسم و جروح دقيقة و يبدأ النسيج العضلى بالتمزق و يصبح الإنسان غثاء كغثاء السيل.

و الصوت يؤثر ليس على الأذن فحسب بل إنه يؤثر على العظام والجلد وتجاويف الجسم وكذلك على النظام العصبى لدى الإنسان

ويقول العلماء إن التأثيرات الحقيقية للأصوات الشديدة لا تزال مجهولة حتى الآن.

إن سرعة الصوت عند مستوى سطح البحر هى 1223 كيلو متر فى الساعة

و هذا يعنى بأن الطائرة عندما تتجاوز هذه السرعة

فإنها تخترق ما يسمى بجدار الصوت

و تتشكل خلفها موجات اهتزازية عنيفة

تسبب تكاثف جزيئات البخار و تشكيل غيمة مؤقتة.

إذن عندما تسير الطائرة بسرعة أعلى من سرعة الصوت

فإنها تضغط الأمواج الصوتية أمامها ثم تسبقها و تخلف وراءها دوياً عالياً

وهنا يمكن أن نعتبر أن الصوت يسبب الاهتزازات العنيفة.



صورة من وكالة ناسا لطائرة حربية تسير بسرعة أكبر من سرعة الصوت أى أنها تسبق صوتها وهذه الطائرة تضغط أمامها الهواء بشدة ونتيجة لذلك تتكاثف جزيئات بخار الماء وتشكل ما يشبه الغيمة هذه الصورة التقطت في اللحظة التى بدأت الطائرة فيها تخترق سرعة الصوت. المصدر www.nasa.gov

الأسلحة الصوتية

وهي من أغرب أنواع الأسلحة التي فكر بها العلماء حديثاً فهناك العديد من المحاولات لاختراع سلاح يمكن أن يستعمل الصوت بدلاً من الطلقات هذا السلاح يصدر ترددات صوتية ذات كثافة عالية مما يؤدى إلى إخافة العدو والسيطرة عليه.

ويحاول بعض الباحثين تصميم أسلحة صوتية فعالة ولكن هناك صعوبات كثيرة من الصعب التغلب عليها وهي شكل الجهاز أو الأداة التي ستبث هذه الأصوات القوية والمدمرة.

ولكن كما يقول بعض الباحثين إن أفضل وسيلة هى البوق الحلزونى الذي يشبه شكل القَرْن.

إذن الأسلحة الصوتية تعتبر وسيلة حديثة وفعالة و لكن لم يتم اكتشافها بشكل كامل بعد.

و العجيب عزيزي القارئ أن الله تعالى حدثنا عن مثل هذا السلاح و كيف أن الله استخدمه ليعذب به قوم ثمود حيث أرسل لهم الله صالحا و أيده بمعجزة هى الناقة التي تشرب كمية من الماء ثم تسقي كل أفراد القبيلة فطغوا وعقروا الناقة واستهزؤوا بصالح عليه السلام ورسالته فأرسل الله عليهم صوتاً شديداً على شكل صاعقة فأهلكهم على الفور.

الصوت و الصاعقة:-

إن الترددات الصوتية العالية تسبب انضغاطاً عنيفاً للهواء في مناطق محددة وتمدداً مفاجئاً في مناطق أخرى وإذا كانت الترددات عالية جداً سببت موجات ضغط متقاربة تجعل جزيئات الهواء تحتك ببعضها بعنف مما يولد كمية كبيرة من الحرارة.

*و لذلك فإن ما يحدث أثناء صاعقة البرق هو العكس حيث يتمدد الهواء فجأة بسبب الارتفاع الكبير فى درجة حرارة شعاع البرق(30 ألف درجة مئوية و هذه الدرجة تساوى خمسة أضعاف حرارة سطح الشمس!)

و هذا يسبب موجات ضغط تصلنا على شكل صوت للرعد.

و لذلك هناك علاقة عكسية بين الصوت و الصعق أو الحرارة الزائدة المفاجئة

و من الممتع أن نذكر بأن أحد الباحثين اليوم يحاول الاستفادة من الحرارة فى توليد الكهرباء حيث يقوم بتحويل هذه الحرارة الناتجة عن احتراق الوقود مثلاً إلى صوت و من ثم يحول الأمواج الصوتية إلى كهرباء.

و لذلك قال﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: 67] وقال أيضاً:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17]

*نلاحظ أن الله تعالى ذكر الصيحة مرة و الصاعقة مرة لأن الترددات الصوتية إذا كانت قوية بما فيه الكفاية تسبب الصاعقة التى تحرق أى شىء تصادفه.

القوة التدميرية للصوت:-

كذلك تحدث القرآن عن القوة التدميرية للصوت و ذلك فى عذاب قبيلة ثمود﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ51فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[النمل]

إذن الصوت كان سبباً فى تدمير هؤلاء الطغاة وهذا ما يقوله العلم اليوم حيث يؤكد الباحثون في هذا المجال أن الترددات الصوتية عند قوة معينة تكون مدمرة و تفتت أى شىء تصادفه حتى الصخور!

ولذلك قال تعالى عن عذاب ثمود:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[القمر: 31].

و هشيم المحتظر هو المرعى اليابس والمحترق والشوك كما في تفسير ابن كثير.

وقال أيضاً: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[المؤمنون: 41].

و الغثاء كما فى القاموس المحيط: هو البالى من ورق الشجر المخالط زبد السيل.

و السؤال هنا لكل من يدّعي أن القرآن من تأليف محمد ﷺ:
كيف علم هذا النبى الأمى بأن الصوت يمكن أن يدمر أى شىء و يفتت الأشياء و يحولها إلى غثاء و إلى هشيم و أن الصوت يمكن أن يحرق أى شيء؟الجواب هو أن الذى علم محمداً هو الله تبارك وتعالى.

تسلسل تأثير الصوت

ومن الأشياء الرائعة في هذه المعجزة أنها تصف لنا بدقة مذهلة ما يراه هؤلاء الكفار أثناء تعذيبهم فالأذن هى العضو الأكثر تأثراً بالترددات الصوتية القوية ثم تتأثر الرئتين و القلب و الدماغ و أخيراً تتأثر العين ولذلك فإن المعذَّب بالصوت يرى نفسه و هو ينهار شيئاً فشيئاً و هذا ما حدث مع قبيلة ثمود حيث أصابتهم الصاعقة و هم ينظرون و لذلك قال-﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ43 فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ44فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾[الذاريات]

الصوت و الاهتزاز:-

إن هذه الصاعقة ما هي إلا ترددات صوتية اهتزازية شديدة ويقول العلماء إن الإنسان إذا تعرض لترددات صوتية عنيفة فإن جسده يبدأ بالاهتزاز و الرجفان و لذلك فقد حدثنا القرآن عن "الرجفة" التى أصابت هؤلاء القوم قال تعالى عن عذاب ثمود:-﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[الأعراف: 78]

تناقض أم إعجاز؟!

و هنا نلاحظ أنه لا تناقض فى القرآن بل إعجاز وإحكام. فقد يدعى بعض المشككين أن القرآن يناقض بعضه بعضاً و هذا أسلوب لجأ إليه بعض أعداء الإسلام لتشكيك المسلمين بكتاب ربهم و هو أن يصوروا القرآن على أنه متناقض وأن فيه اختلافات كثيرة. و لكن الله تعالى أكد لنا مسبقاً أن هذا القرآن لا يحوى أى اختلاف أو تناقض:-﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: 82]
فقد يقولون إن القرآن وصف عذاب قبيلة ثمود:-
مرة بالصيحة و مرة بالرجفة و مرة بالصاعقة و مرة بالهشيم
فأين التوافق في هذه الكلمات مع أنها مختلفة من حيث المعنى؟
و نقول نعم إن الله تعالى وصف عذاب قبيلة ثمود بأوصاف مختلفة
و لكن العلم الحديث كشف عن الآثار التدميرية للصوت القوى و رتب لنا هذه النتائج والآثار بترتيب يتناسب مع الحدث كما يلى:-

1- الصوت (أى الصيحة):-
يسبب الاهتزاز والرجفان وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾
وذلك لأن الصوت هو عبارة عن أمواج اهتزازية وعندما يتعرض الإنسان لصوت قوي جداً بشدة أكثر من 200 ديسيبل يبدأ الجسم بالاهتزاز والرجفان بسبب الأمواج الاهتزازية العنيفة.

2-الصوت القوى يسبب الصعق و الحرائق و هذا ما عبر عنه القرآن بكلمة(الصاعقة)يقول﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾
لأن الترددات العالية و الشديدة تجعل الهواء يتمدد بشكل مفاجئ و ينضغط بشدة
و هذا يؤدى إلى رفع درجة حرارة الهواء إلى آلاف الدرجات المئوية فيكون الصوت مترافقاً بالحرارة العالية و هذه هى الصاعقة.

3- إن الأصوات القوية(أكثر من 200 ديسبل)تؤدى إلى تمزق الجلد و انفجار الأذن والرئتين

ثم إذا زادت شدة الصوت فإنه يمزق أنسجة الجسم و يفتتها إلى قطع صغيرة محروقة تشبه الهشيم الذى تخلفه حرائق الغابات و هذا ما وصفه الله تعالى بقوله: (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ).
و كذلك فإن الصوت القوي جداً يحول الأشياء إلى ما يشبه الغثاء وهو بقايا السيل وهذا ما وصفه القرآن بعبارة: (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً).
من هنا نستنتج أنه لا تناقض في القرآن بل إن وجود كلمات متعددة لوصف آثار هذه الصيحة هو وصف للمراحل التي مر بها هؤلاء القوم قبل أن يموتوا. و سبحان الله!
سؤال خطر ببالى: لماذا أهلك الله قوم سيدنا صالح بهذا الشكل المرعب؟
إن الحكمة –والله أعلم- أنهم لم يسمعوا نداء الحق و أعرضوا واستحبّوا العمى على الهدى فأنكروا تعاليم نبيهم صالح و لم يستمعوا إلى صوت الحق فكان عذابهم بصوت الصاعقة يقول تعالى:-
(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[فصلت: 17]
هذا في الدنيا فماذا عن الآخرة؟
النفخة الأولى
و هى النفخة التى تنتهى بها الحياة و يمكن أن نسميها نفخة الموت إذ أن الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة قوية تكون سبباً في هلاك جميع المخلوقات بما فيها الكائنات التي تعيش على كواكب أخرى خارج الأرض لأن الله تعالى يقول: (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)أى أن هناك مخلوقات أخرى تنتشر في الفضاء الخارجي سوف تتأثر بهذا الصوت وتُصعق.
*وكما ذكرنا هناك علاقة بين الصوت والصعق لأن الصوت المرتفع جداً يملك قوة تدميرية و يمكن أن يحرق أكثر من النار نفسها!
والعلماء حتى اليوم يحاولون الحصول على صوت يكون له أثر تدميرى ولكن تجاربهم لا تزال محدودة لأن المشكلة في تصميم الجهاز الذى يصدر هذا الصوت وعلى كل حال يؤكدون أن أقوى أنواع الأصوات وأشدها أثراً هو الصوت الذي نحصل عليه نتيجة النفخ فى بوق يشبه القرن!
و سبحان الله! يقول الباحثون فى هذا المجال إن أفضل طريقة لتوليد أخطر أنواع الذبذبات الصوتية الفعالة و الشديدة هى أن نولد الصوت من خلال ما يشبه البوق على شكل حلزون هوائى و هو جهازا يشبه القرن لأن هذه الطريقة ستولد الموجات الصوتية ذات الترددات تحت الصوتية infrasound و التى تعتبر الأخطر على الإنسان و الحيوان و الجماد.
و هذا القرن الذى وجده العلماء أكثر كفاءة لإنتاج الأصوات القاتلة هو ما حدثنا عنه الله تعالى بقوله:
(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)[الزمر: 68].
حيث قال ابن كثير فى تفسيره:و الصحيح أن المراد بالصور القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام
و لذلك عندما سأل الإعرابي رسول الله ﷺ:-ما الصور؟ قال ﷺ:-(قَرْن يُنفخ فيه)[رواه الإمام أحمد]
وهذه معجزة نبوية في علم الصوت حيث حدد لنا القرآن أن أقوى أنواع الأصوات هى تلك الناتجة عن النفخ في الصور
و فسر لنا الرسول الأعظم ﷺأن الصور هو قرن يُنفخ فيه و هذا ما وصل إليه العلماء بعد تجارب طويلة!
النفخة الثانية

و هى نفخة الحياة حيث يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور فتكون هذه النفخة سبباً في إحياء جميع الخلائق وقيامهم من تحت الأرض، يقول تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)

وهنا قد يتساءل البعض عن سر هذه النفخة و كيف يكون الصوت سبباً في الحياة!

للصوت تأثيرات كثيرة فقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن كل شيء في الكون له تردده الخاص به ويسمى الرنين الطبيعي

فعندما نعرض هذا الجسم لتردد صوتي محدد يساوى الرنين الطبيعى لهذا الجسم فإنه يبدأ بالاهتزاز والتجاوب.

و لذلك فإن الترددات الصوتية إذا كانت ذات مجال ترددى واسع سوف تستجيب لها كل الموجودات على الأرض (الجماد و الإنسان و الحيوان).

و إذا علمنا أن للصوت تأثيرات على الخلايا الحية فالخلية تصدر ترددات صوتية و تتأثر بالترددات الصوتية والترددات الصوتية تؤثر على نشاط الخلايا فتكون سبباً في شفائها وهذه هي فكرة العلاج بالقرآن.

كذلك للصوت قدرات عجيبة على تدمير الخلايا السرطانية وبنفس الوقت يمكن للذبذبات الصوتية أن تطيل عمر الخلية وتنشطها وتجعلها أكثر حيوية.

*اكتشف بعض الباحثين مثل الفرنسى فابيان أن للصوت قدرة
على تفجير الخلايا السرطانية وبنفس الوقت قدرة على تنشيط الخلايا
و إعادة الحيوية والطاقة لها ولذلك يمكن اعتبار أن بعض الترددات الصوتية
يمكنها التأثير على الأمراض المستعصية و شفائها و هذا هو العلاج بالقرآن الكريم.

إن الله تعالى هو أعلم بهذه النفخة و هو الذى يختار الترددات المناسبة لتكون سبباً في إيقاظ الخلايا الميتة و ذلك–و الله أعلم-من خلال تنشيط الشريط الوراثى المسمى DNA هذا الشريط يوجد فيه سر الحياة ويوجد في أعماق كل خلية حية ويحمل صفاته الوراثية و يتحكم بمسيرة حياة الخلية فالله تعالى هو خالق الخلايا وهو أعلم بما يحييها....

وقد وجد العلماء أن هذا الشريط يبث ذبذبات صوتية خفيفة جداً تمكنوا من سماعها بالأجهزة الحساسة ولذلك فهو يتأثر بالذبذبات الصوتية وقد يكون للصوت أثراً في تنشيط DNA وإعادة الحياة له و من ثم إعادة إحياء خلايا الجسم وبخاصة إذا علمنا أن DNA يمكنه البقاء لمئات الآلاف من السنوات و لا يتأثر بدرجات الحرارة مهما كانت عالية ولا يتأثر بالظروف المحيطة.

*الشريط الوراثى DNA هذا الشريط يبقى لمئات الآلاف من السنين بعد موت الإنسان
ويقول العلماء إن هذا الشريط يكمن فيه سر الحياة و أنه يتأثر بالذبذبات الصوتية بشكل كبير
و قد تكون النفخة الثانية في الصور سبباً في بث الترددات الصوتية الصحيحة التى يتأثر بها هذا الشريط وتعود له الحياة مرة ثانية فينمو ويتكاثر و هكذا يبعث الله الخلائق من جديد والله أعلم.

و أخيراً:-

في هذه الآيات الكريمات تتجلى معجزة مهمة في علم هندسة الصوت وأن القرآن تحدث بدقة مذهلة عن نتائج الترددات الصوتية القوية فهي تصعق و تفتت الأشياء وقد تكون سبباً في إعادة الحياة وهكذا حقائق لم نتمكن من رؤيتها علمياً إلا في القرن الحادي و العشرين فسبحان من حدثنا عنها لتبقى معجزة هذا الكتاب قائمة إلى يوم القيامة حيث تشرق الأرض بنور ربها ونكون في الجنة إن شاء الله مع النبيين والشهداء.

لنتأمل هذا النص القرآنى(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ68وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ69 وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ70 وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ71 قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ72 وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ73 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ74 وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[الزمر]

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٗاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ)يتنزهون عن فعل الفاحشة مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ وَ أَدْبَارِ النِّسَاءِ(وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ)البروج: ٨ 82

(فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ)كقوله {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ35فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[الذريات]

(إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ)أصابها ما أصابهم.فَإِنَّهَا لَمْ تُؤْمِنْ بِهِ بَلْ كَانَتْ عَلَى دِينِ قَوْمِهَا تُمَالِئُهُمْ عَلَيْهِ و تُعْلمهم بِمَنْ يَقْدم عَلَيْهِ مِنْ ضِيفَانِهِ بِإِشَارَاتٍ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُمْ قَالَ هَاهُنَا: (كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ)الْهَالِكِينَ الباقين المعذبين أمره اللّه أن يسرى بأهله ليلا فإن العذاب مصبح قومه فسرى بهم 83

(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ)حجارة حارة شديدة من سجيل و جعل اللّه عاليها سافلها

*مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ82 مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[هُودٍ]

(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ)الهلاك و الخزى الدائم

*انْظُرْ-يَا مُحَمَّدُ-كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَنْ تَجَهْرَمَ عَلَى مَعَاصى اللَّهِ وَ كَذَّبَ رُسُلَهُ

*أبي داود 4462 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ‌رضي الله عنه قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَ الْمَفْعُولَ بِهِ»

*وَ أَمَّا إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي الْأَدْبَارِ فَهُوَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرَى وَ هُوَ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ

أيضا(فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ)هود(وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ) النجم

*ذم اللواط للآجرى7 - عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ جُنْدُبٌ:-قَالَ حُذَيْفَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ:-

لَمَّا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لِيُهْلِكُوهُمْ قِيلَ لَهُمْ:-

لَا تُهْلِكُوا قَوْمَ لُوطٍ حَتَّى يشهد عليهم لوط ثلاث مرات و طريقهم على إبراهيم قال:-

فَأَتَوْا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَبَشَّرُوهُ بِمَا بَشَّرُوهُ{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}

[هود: 74] قَالَ: كَانَ مُجَادَلَتُهُ إِيَّاهُمْ أَنْ قَالَ لَهُمْ:-إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَمْسُونَ أَتُهْلِكُونَهُمْ؟

قَالُوا:-لَا قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهِمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالُوا: لَا قَالَ: فَثَلَاثُونَ؟

قَالُوا:-لَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَشَرَةٍ و خَمْسَةٍ-شَكَّ سُلَيْمَانُ-فَأَتَوْا لُوطًا عليه السلام وَ هُوَ فِي أَرْضٍ يَعْمَلُ فِيهَا فَحَسِبَهُمْ ضَيْفًا فَأَقْبَلَ بِهِمْ حِينَ أَمْسَى إِلَى أَهْلِهِ فَأَمْسَوْا مَعَهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:-مَا تَرَوْنَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟

قَالُوا: مَا يَصْنَعُونَ؟ قَالَ: مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَشَرَّ مِنْهُمْ قَالَ: فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَهْلِهِ

فَانْطَلَقَتِ الْعَجُوزُ السُّوءُ امْرَأَتُهُ فَأَتَتْ قَوْمَهُ فَقَالَتْ:-

لَقَدْ تَضَيَّفَ لُوطًا قَوْمٌ مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَحْسَنَ وُجُوهًا وَلَا أَطْيَبَ رِيحًا مِنْهُمْ فَأَقْبَلُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى دَفَعُوا الْبَابَ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَغْلِبُوهُ عَلَيْهِمْ فَمَالَ مَلَكٌ بِجَنَاحِهِ فَصَفَقَهُ دُونَهُمْ ثُمَّ أَغْلَقَ الْبَابَ ثُمَّ عَلَوُا الْجِدَارَ فَعَلَوْا مَعَهُ ثُمَّ جَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ:{هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ}[هود: 78]حَتَّى بَلَغَ {أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: 80]

{قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ}[هود: 81]فَقَالَ حِينَ عَلِمَ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ قَالَ:-

فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَّا عَمِيَ قَالَ: فَبَاتُوا بِشَرِّ لَيْلَةٍ عُمْيًا يَنْتَظِرُونَ الْعَذَابَ

قَالَ:وَ سَارَ بِأَهْلِهِ وَ اسْتَأْذَنَ جِبْرِيلُ عليه السلام فِي هَلَكَتِهِمْ فَأُذِنَ لَهُ فَارْتَفَعَتِ الْأَرْضُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فَعَلَا بِهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا نُبَاحَ كِلَابِهِمْ وَ أَوْقَدَ تَحْتَهَا نَارًا ثُمَّ قَلَبَهَا بِهِمْ

قَالَ:فَسَمِعَتِ امْرَأَتُهُ الْوَجْبَةَ وَ هِيَ مَعَهُ فَالْتَفَتَتْ فَأَصَابَهَا الْعَذَابُ(صحيح و اسناده حسن فيه ابن أبي الدنيا وهو صدوق)84

(وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ)أرسلنا إلى القبيلة المعروفة بمدين تطلق علي القبيلة و على المدينة

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} [القصص:23]وَ هُمْ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ

(أَخَاهُمۡ)في النسب(حوالى 1505 قبل الميلاد)

قصة شعيب 85-102

(شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ)يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له

(قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ)آية واضحة(مِّن رَّبِّكُمۡۖ)تشهد لى بالرسالة و بما أن ما آمركم به و أنهاكم عنه هو من عند الله تعالى

(فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ)و يأمرهم بإيفاء المكيال و الميزان

(وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ)و أن لا يبخسوا الناس أشياءهم

*لَا يَخُونُوا النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَ يَأْخُذُوهَا عَلَى وَجْهِ الْبَخْسِ وَ هُوَ نَقْصُ الْمِكْيَالِ وَ الْمِيزَانِ خفية وَ تَدْلِيسًا

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ 1 الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ 2 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ 3 أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ 4 لِيَوْمٍ عَظِيمٍ 5يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[المُطَفِّفِينَ]

و لهذا قال:-(وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا)بالإكثار من عمل المعاصى

(ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

فإن تـرك المعاصى:–

1– امتثـالا لأمر اللّه 2–و تقربا إليه خير3–و أنفع للعبد من ارتكابها الموجب لسخط الجبار و عذاب النار.

*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شُعَيْبٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ:-خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ لِفَصَاحَةِ عِبَارَتِهِ وَ جَزَالَةِ مَوْعِظَتِهِ85

*يَنْهَاهُمْ شُعَيْبٌ عليه السلام عَنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ:-1- الْحِسِّيِّ 2-وَ الْمَعْنَوِيِّ بقوله:–

(وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ)طريق من الطرق التى يكثر سلوكها تحذرون الناس منها

و (تُوعِدُونَ)من سلكها-تُوعِدُونَ النَّاسَ بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يُعْطُوكُمْ أَمْوَالَهُمْ

(وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ)من أراد الاهتداء به

(وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) معوجة عن سبيل اللّه تكون و تميلونها اتباعا لأهوائكم

و قد كان الواجب عليكم و على غيركم الاحترام و التعظيم للسبيل التي نصبها اللّه لعباده ليسلكوها إلى مرضاته و دار كرامته و رحمهم بها أعظم رحمة و تصدون لنصرتها و الدعوة إليها و الذب عنها

لا أن تكونوا أنتم قطاع طريقها الصادين الناس عنها فإن هذا كفر لنعمة اللّه و محادة للّه و جعل أقوم الطرق و أعدلها مائلة و تشنعون على من سلكها.

(وَٱذْكُرُوٓا۟)نعمة اللّه عليكم

(إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ)أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات و النسل و الصحة

و أنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم و لا سلط عليكم عدوا يجتاحكم و لا فرقكم في الأرض بل أنعم عليكم باجتماعكم و إدرار الأرزاق و كثرة النسل.

(وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)فإنكم لا تجدون في جموعهم إلا الشتات

و لا في ربوعهم إلا الوحشة و الانبتات و لم يورثوا ذكرا حسنا

بل أتبعوا فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة أشد خزيا و فضيحة86

(وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟)و هم الجمهور منهم.

(فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ)فينصر المحق و يوقع العقوبة على المبطل87

الاعجاز فى (فأمطرنا عليهم مطرا) الرابط

يقول عالم الآثار الألماني وورنر كيلر:

غاص وادى سديم الذى يتضمن سدوم و غوموراه مع الشق العظيم الذى يمر تماماً في هذه المنطقة في يوم واحد إلى أعماق سحيقة حدث هذا الدمار بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبتها عدة انفجارات و أضواء نتج عنها غاز طبيعى و حريق شامل

في الحقيقة تعتبر منطقة البحر الميت أو بحيرة لوط منطقة زلزالية نشطة أي منطقة زلازل.

وهو يقع في صدع تكتوني متجذر ويمتد هذا الوادى 300كم على طول الوتر الواصل بين وبحيرة طبريا شمالاً الى منتصف وادي عربة جنوباً

أما الجملة الأخيرة من الآية:-(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ)

فربما تعني حدوث انفجار بركاني على ضفتي بحيرة لوط و لهذا كانت الحجارة التى انطلقت(مِنْ سِجِّيل)

تعرض الآية 173من سورة الشعراء لنفس الصورة:-(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ)

و عن ذلك يقول وورنر كيلر:

"تحررت القوى البركانية التى كانت هامدة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور ولا تزال فوهات البراكين الخامدة تبدو ظاهرة فى الوادى العلوى من الضفة الغربية بينما تترسب هنا الحمم البركانية و تتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح الكلسى

تدل هذه الحمم المتحجرة وطبقات البازلت على تعرض هذه المنطقة إلى هزة عنيفة وبركان ثائر في زمن من الأزمنة وتبدو هذه الكارثة بالسياق القرآني (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ)

فالقرآن يشير على أغلب الظن إلى هذا الانفجار البركانى والله أعلم.

و قوله (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) يشير إلى وقوع الزلزال الذي استثار البركان لينفجر على سطح الأرض ليترك آثاراً مدمرة و شقوقاً و حمماً و الله أعلم.

الدلائل البينة و الآيات الواضحة التي تظهر في بحيرة لوط مثيرة للغاية بشكل عام تقع كل الأحداث التي يرويها القرآن في الشرق الأوسط الجزيرة العربية ومصر في منتصف هذه المناطق تماماً تقع بحيرة لوط.

قد أثارت بحيرة لوط والمناطق المجاورة لها اهتمام الجيولوجيين إذ تنخفض هذه البحيرة 400 متراً عن سطح البحر الأبيض المتوسط و بما أن أخفض نقطة في هذه البحيرة تغوص حتى 400 متراً عن سطحها إذن فقاع البحيرة يكون بانخفاض 800 متراً عن سطح البحر و هذه أخفض نقطة على وجه الأرض لا يتعدى عمق المناطق المنخفضة عن سطح البحر فى البحر أكثر من 100 متراً.

الخاصية الأخرى التي تختص بها هذه البحيرة دون غيرها ەى الكثافة الملحية فيها و التى تبلغ 30%

ولا تسمح هذه النسبة لا تسمح لأى نوع من الكائنات البحرية مثل الأسماك الطحالب الإشنيات وما إلى ذلك بالعيش فيها و لهذا سميت بالبحر الميت "Dead Sea" فى الأدب الغربى

وحسب التقديرات: فإن قصة قوم لوط التى يرويها القرآن تعود إلى 1800 قبل الميلاد

لاحظ كيلر من خلال دراساته الجيولوجية و الأثرية أن مدينتى سدوم و غومورا كانتا تقعان فى وادى سديم الذي كان يشغل النهاية القصوى و الأكثر انخفاضاً من بحيرة لوط

وأن هذه المنطقة كانت من أكثر المناطق سكاناً في هذه الأرض.

من أكثر الخصائص البنيوية لهذه البحيرة هو ذلك الدليل الذى يظهر واقعة الدمار كما رواها القرآن.

هناك قسم يشبه اللسان يشكل شبه جزيرة فى شرقى بحيرة لوط و هو يمتد حو داخل البحيرة و قد أطلق العرب على هذا القسم أسم "اللسان و هو يقسم قاع البحيرة تحت الماء الى قسمين و لا يبدوا هذا ظاهراً للعيان فوق اليابسة.

*و مع أن القاع فى يمين شبه الجزيرة هذه هو على عمق 400 م الا أن الجانب الأيسر منها ضحل الى درجة محيرة.

وقد أظهر السبر الذى أجرى منذ عدة سنوات أن عمق الماء هنا يزيد عن 15 - 16 م هذه المنطقة الضحلة تشكلت فيما بعد تكونت نتيجة الزلازل وما تبعتها من ترسبات للانهيارات الكبيرة التى حدثت فى أعقابها و هذه المنطقة ەى منطقة سدوم و عامورا التي عاش فيها قوم لوط

لاحظ وورنر كيلر هذا الجزء الضحل الذى اكتُشف أنه قد تشكل فيما بعد أنه حصل نتيجة الهزة الأرضية والانهيار الكبير الذي أحدثته هذه الهزة هذه المنطقة هي التي كانت تشغلها سدوم و غومورا أي:- مسكن قوم لوط.كان من الممكن في القديم الانتقال من هنا إلى الضفة المقابلة مشياً على الأقدام.

أما الآن فإن الجزء السفلي من البحر الميت يغطى مدن سدوم و عامورا الموجودتان فى وادى سديم.

ونتيجة لانهيار القاعدة بسبب كارثة طبيعية مرعبة حدثت فى الألف الثانى ق.م

اندفعت المياه المالحة من الشمال

إلى هذا الفراغ والتجويف الحادث

و ملأت هذا القسم تماماً.تبدو آثار قوم لوط واضحة...

عندما تبحر فى قارب عبر بحيرة لوط إلى أقصى

نقطة جنوباً و عندما تكون الشمس

مرسلة أشعتها باتجاه اليمين سترى شيئاً مذهلاً

على بعد معين من الشاطئ و تحت ماء البحر

الصافى تظهر حدود الغابات التي حفظتها ملوحة

البحر الميت بشكل واضح:

أغصان قديمة جداً وجذور ضاربة في القدم تحت المياه

قامت إحدى الغواصات البريطانية الصغيرة بمسح قاع البحر الميت فكشفت وجود عدة بروزات كبيرة مغمورة بطبقة سميكة من الملح يعتقد أنها قرى نبى الله لوط عليه السلام

قامت الأقمار الصناعة الأمريكية بتصوير قاع البحر فكشفت الصور ست نقاط على شكل مستطيل ەى عبارة عن قرى مغمورة تحت البحر الميت يعتقد أنها قرى لوط عليه السلام



المنطقة فى ذلك الزمن حيث كانت هذه الأغصان و الأشجار خضراء يانعة ذات يوم و الورود متفتحة...

تكشف الأبحاث الجيولوجية عن الناحية الديناميكية لكارثة قوم لوط تقول هذه الدراسات:

إن الزلزال الذي دمر القوم جاء نتيجة لتشكل صدع طويل في الأرض(خط التصدع) على بعد 190 كم ليشكل حوض نهر الشريعة يشير انحدار نهر الشريعة نزولاً حوالى 180 كم

بالإضافة إلى انخفاض البحر الميت بمقدار 400 متر عن سطح الأرض إلى أن حادثاً جيولوجياً على جانب من الأهمية قد اتخذ مجراه فى حقبة من الزمن

تشكل البنية المثيرة لنهر الشريعة و بحيرة لوط جزءاً صغيراً فقط من الشق أو الصدع الذى يمر من هذه المنطقة من الأرض لقد اكتُشِفَ مكان وطول هذا الصدع فى أيامنا هذه فقط.

يبدأ الصدع من مناطق جبال طوروس ويمتد جنوباً حتى بحيرة لوط ثم يواصل امتداده خلال الصحراء العربية ليصل إلى خليج العقبة ثم يستمر عبر البحر الأحمر لينتهي في إفريقيا وعلى امتداد هذا الصدع لوحظت أنشطة بركانية حيث يمكن ملاحظة الحجارة البازلتية و البركانية في جبل الجليل فى فلسطين و فى المناطق المنبسطة والمرتفعة من الأردن و فى خليج العقبة والمناطق المجاورة.

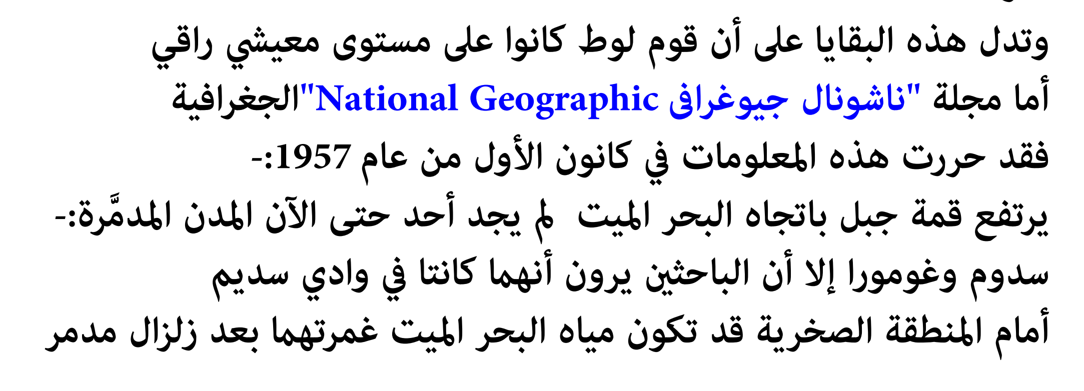
تدل هذه الآثار والمعلومات الجيولوجية مجتمعة على أن بحيرة لوط قد شهدت كارثة جيولوجية مخيفة

كتب وورنر كيلر:

غاص وادي سديم الذي يتضمن سدوم و غومورا مع الشق العظيم الذي يمر تماماً في هذه المنطقة إلى أعماق سحيقة في يوم واحد حدث هذا الدمار بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبتها عدة انفجارات وأضواء نتج عنها غاز طبيعي وحريق شامل تحررت القوى البركانية التي كانت هامدة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور ولا تزال فوهات البراكين الخامدة تبدو ظاهرة في الوادي العلوى من الأردن قرب باشان بينما تترسب الحمم البركانية وتتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح الكلسى تدل هذه الحمم المتحجرة وطبقات البازلت على تعرض هذه المنطقة إلى هزة عنيفة و بركان ثائر في زمن من الأزمنة."



بقايا المدينة التي انزلقت إلى بحيرة لوط و التي عثر عليها على ضفاف البحيرة



وتدل هذه البقايا على أن قوم لوط كانوا على مستوى معيشي راقي

أما مجلة "ناشونال جيوغرافي National Geographic"الجغرافية

فقد حررت هذه المعلومات في كانون الأول من عام 1957:-

يرتفع قمة جبل باتجاه البحر الميت لم يجد أحد حتى الآن المدن المدمَّرة:-

سدوم وغومورا إلا أن الباحثين يرون أنهما كانتا في وادي سديم

أمام المنطقة الصخرية قد تكون مياه البحر الميت غمرتهما بعد زلزال مدمر



بقايا من الأشجار القديمة عليها ترسبات ملحية تمتد في إحدى أطراف البحر الميت الضحلة